

بدل الاشتراك عن سنة
 ٦٠ في مصر والسودان
 ٨٠ في الأقطار العربية
 ١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
 ١٢٠ في العراق بالبريد السريع
 ١ ثمن العدد الواحد
 مكتب الاعلانات
 ٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
 تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH
 Revue Hebdomadaire Littéraire
 Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
 ورئيس تحريرها المسئول

إبراهيم الزماين

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
 القبة الخضراء - القاهرة
 ت رقم ٤٢٣٩٠ ، ٢٤٥٥٠

العدد ٢٠٤ ، القاهرة في يوم الاثنين ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٥٦ - ٣١ مايو سنة ١٩٣٧ ، السنة الخامسة

من أبحاثنا المشهورة

مصر في جمعية الأمم

دخلت مصر يوم الأربعاء الماضي عضوا في جماعة الأمم فكانت تحية دخولها نشيدا من أناشيد النصر هتفت به خمسون دولة من دول المدن ، تمجيدا لأول أرض رأت الحضارة ، وأقدم أمة عرفت المدينة ، وأعرق دولة قدست المعرفة ؛ وكان يوم دخولها عيداً من أعياد الحرية خفقت له القلوب الرزينة ابتهاجاً بظفر الحق بالعدالة ، وضمان الاستقلال بالقانون ، وتوكيد السيادة بتحقيق المساواة ؛ وكان حادث دخولها الفصل الختامى من ملحمة الجهاد المقدس في سبيل الحرية المقدسة ، فصفت له أ كف الساسة في العالم ، وارتفعت له ألوية السلام في جنيف ، وخطب ثمانية وعشرون خطيباً في مجلس العصبة فقالوا في مصر بعض ما قال التاريخ المتحجر المائل على جبهة الدهر ، فما احتك في الصدور شبهة من صرف الحديث ولا زور المجاملة . قال السنيور كيفيدو الأمريكي : « ان الدولة التي تطرق بابنا اليوم تمثل العالم بقدمه وجدته . ولكن هذه المظاهر على تناقضها تتسق فيها فتؤلف شيئا واحدا كاملا له قيمة تكاد تكون رمزية بالنسبة إلينا جميعا . فصر تدخل

فهرس العدد

صفحة

- ٨٨١ مصر في جمعية الأمم
 ٨٨٢ امتيازات من نوع آخر . . : الأستاذ أحمد أمين
 ٨٨٥ الخالصة : الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
 ٨٨٨ الصراع الأخسيري بين { الأستاذ محمد عبد الله حنان
 الموريسكيين واسبانيا . . .
 ٨٩١ المني والاسلوب في الأدبين { الأستاذ هري أبو السعود
 العربي والانجليزي : الأستاذ قسري حافظ طوقان
 ٨٩٥ الحياة على الكواكب . . : الأستاذ قسري حافظ طوقان
 ٨٩٨ الفلسفة الشرقية بمحور تحليلية : الدكتور محمد قلاب
 ٩٠١ دالت دولة الشعر : الأديب هلال أحمد فتا
 ٩٠٢ ملت كاتب البعث : الأستاذ عبد المنعم خلاف
 ٩٠٥ فقيد البيان الرفيع : الأستاذ حسين مروة
 ٩٠٧ رسالة الشباب في الحاضر . : الأستاذ خليل حناوي
 ٩٠٩ قصة المكروب : ترجمة الدكتور أحمد زكي بك
 ٩١٢ ميكلائيلو : الدكتور أحمد موسى
 ٩١٥ الاضطراب في نظم التعليم - من آثار التشكيك .
 ٩١٦ معرض باريس - بنة علمية كبيرة إلى القطب - الجرد أخيرا .
 ٩١٧ ديوان حافظ إبراهيم - وفاة شاعر مجرى كبير
 ٩١٨ اسماعيل المقتري عليه . . . : الأستاذ القنبي

بيننا مملكة الجبين بمجد لا نظير له ، لأنها البلاد التي نبت فيها كثير من المدينيات ، وحفظت على أرضها كثيرا من الشواهد الرائعة على عبقرية بلغ من إتساع مداها أن رفدت كل فن وأمدت كل حضارة . ان مصر صاحبة هذا الميراث العريق في القدم الخافل بالروائع ، تقدم إلينا اليوم في مظهر دولة في ريق الشباب ونضرة العمر وطدت مكائنها على التدرج في المجتمع الدولي ، وحصلت على استقلالها بفضل جدارتها الخاصة ونضجها الكامل ، ثم قال السيد رشدي آراس وزير خارجية تركيا : « ان هذه البلاد ذات الخطر العظيم بين أمم البحر الأبيض المتوسط . . . قد استطاعت في زمن يسير أن تقطع المراحل المتتابعة في تطورها السلي المجيد . ولأننا لا ذكر حادثا تاريخيا يتعلق بروابط مصر القديمة بأحد شعوب آسيا الصغرى ، فقد ثبت من الأدلة الأركيولوجية أن أقدم صك دولي ، أو أقدم معاهدة سياسية ، هي التي عقدت بين المصريين والحيتيين ، وقال المستر إيدن وزير إنجلترا : « إننا هنا نخسرون دولة ليس بينها من لم يكن مدينا إلى حد ما لحضارة مصر السامية . فقبل أن تخرج بعض الأمم التي نمثلها من مجاهلها الأولى بزمان طويل ، كانت مصر قد منحت الجنس البشري هبات من العلوم والآداب فوق كنوز الفنون التي لا تبارى ولا تزال إلى اليوم مصدرا للأعجاب والعجب » ، وقال المسيو بوليتيس وزير اليونان : « إذا كانت أثينا أم المدينة الحديثة في أوروبا ، فإن مصر جدتها على التحقيق ، فقد أثبتت الكشوف الأثرية أن مصر أفاضت على العالم من علمها وفنونها وآدابها وفلسفتها ، وأنها كانت مدرسة للاغريق أنفسهم ، حتى أن الأدب الإغريق الخالد قد اقتبس من الأدب المصري كما دلت على ذلك المقارنة . »

وكلام البقية من الخطباء الوزراء مضروب على هذا الأيقاع ، مطرود على هذا النسق ، فلم تشهد القاعة الدولية حفلا كهذا الحفل ، ولا قولاً كهذا القول .

كان يجد مصر ونيل مصر وعبقرية مصر أمثالا مضروبة على لسان التاريخ ، ونماثيل منصوبة على وجه الأرض ، تعقد

عليها الكتب ، ونطوى إليها المراحل ، ولكنها في أيام جهادنا الدامي العنيف كانت شهادة لا تدل وأثرا لا يذكر ، فكنا نحن المتمردين على ضراعة الذل واستكانة الرق ندعى : (آراب) و (أنديجين) ثم لا يرفعا نسب عمرو ، ولا تغنينا قرابة (مينا) . فلما انتهى أمر الدولة المحتلة بالمعاهدة ، وأمر الدول المتنازعة بالاتفاق ، لم تبق إلا كلمة الحق ؛ ولا يضركم الحق أن يقال في الآخر ، فإن من الحق أيضاً أن عظمة الأجداد وآثار الأجداد تظل سطورا في الصحف ، أو صخوراً على الترى ، حتى تتاح لها من الأبناء السنة فتذكرها وأيد فتشرها وأعمال فتحيها لا ريب أن ماضي مصر المجيد كان له أثر ظاهر في هذه المظاهرة الدولية ، ولكن براعة المفاوضين وكفاية الممثلين كاتنا شاهد هذا التاريخ وباعت هذا المجد . فإذا غفرت مصر بآبائها الذين أشاد بفضلهم أقوى أمم الدهر ، كانت حرية أن تفخر كذلك بآبائها الذين جروا في عنان مع أسبق أمم الأرض

قال وزير خارجية فرنسا في خطبته : « إن مصر مستعد إلى جنيف بتجارب الشرق ، ولكنها حين تحمل الغرب على الاستفادة من حكمة الشرق . سنحمل هي نفسها على تجديد حضارتها بحضارة الغرب ،

وهذا كلام لا يحتاج حقه إلى شاهد ؛ ولو طبق على معناه ومعناه لكان خليقاً أن يفتح للعصبة باب عهد جديد . فقد دأب الغرب لقوته على أن يعطى ، ودأب الشرق لضعفه على أن يأخذ . وليس ما عند القوى خيراً كله ، ولا ما عند الضعيف شراً كله ؛ وأولى المؤسسات الغربية بالأخذ عن الشرق هي عصبة الأمم ، فإن مبدأها السلام وغايتها السلام ؛ وليس لدين الشرق وحكمة الشرق إلا هذه الرسالة .

فعل مندوبي مصر والعراق وإيران وأفغانستان والهند وتركيا أيضاً ، يحملون عن مطلع الشمس إلى مغربها هذه الامانة ، فيسطعون في جوار الجمعية سطوع النور ، ويرفون في نجوانها رفيف الروح ، فيكون من أصواتهم الندية للعالم الشارداً المجهود سلام ووثام ورجة

امتيازات من نوع آخر

للأستاذ احمد أمين

في مصنوعاتنا الوطنية ، ونشأت فرقة من الأجانب تجيد
عمل ، الطعمية ، و « الفول المدمس » ، وبزت فيهما المصريين ،
وأصبحت الطبقة المصرية الأرستقراطية تشبههما من يد
الاجنبي أيضاً وتفضل ما يصنعه على منتجات « أبي ظريفه » ،
والحلوجي ، ومن إليهما ؟

فالصناعات في مصر - على العموم - تتخذ شكل هرم ،
قاعدته التي تلامس الأرض للمصريين ، وقته التي تناطح السحاب
للأجانب .

وهل بلغك أن في بورسعيد - المدينة المصرية - حين
يسمى أحدهما « حتى الفرنج » ، ويسمى الآخر « حتى العرب » ؟
فأما البناء الجليل ، والنظافة والأناقة والعناية بالوسائل الصحية
ومظهر الفنى والنعمة ، ومظهر المدنية والحضارة ، فلحي الفرنج ؛
وأما مظهر الفوضى والإهمال والبؤس والفقر وسوء الحالة
الصحية ومأوى الفقراء ومسكن التواضع والرضا بما قسم الله
فلحي العرب ؟

أو هل سمعت أيضاً أن « مصر الجديدة » - وهي ضاحية
من ضواحي القاهرة - يسكنها كثير من الأجانب فينعمون
بشوارعها الفسيحة ، وبيوتها الضخمة الأنيقة ؛ ثم في ركن
متواضع من أركانها ناحية تسميها الشركة « عزبة المسلمين »
فيها كل ما لا يخطر على البال من تكديس السكان في حجرة
واحدة ومن إهمال ومن أمراض ومن فقر وبؤس ، يفر منها
من يسكنون بجوارها هرباً بأنفسهم وبصحتهم ، وهرباً بعيونهم
عن مناظر القبح ، وبآذانهم عن ألقاظ الهجر ، وبأنوفهم عن
كريه الريح ؟

أوليس مما يثير عجبك ، ويغث دهشك ، أن كلمة « الأجانب »
الوطنية ، في مصر تحمل من المعاني كل أنواع السوء والفوضى
والإهمال وكان يجب أن تحمل كل معاني العناية والنظافة
والنظام ؟

ثم هل رأيت الاجنبي في وسط الفلاحين في العزبة ، هو
وحده النظيف في ملبسه ومسكنه وما كله ، وهو الذي له عقل
يدبر ماله ويعرف كيف يستغله ، وهم المغفلون الذين لا يعرفون

هل لاحظت أنك إذا استعرضت مقاهي مصر وفنادقها
رأيت أن أعظمها بناء ، وأحسنها نظاماً ، وأغناها رواداً ،
وأجلها موقعاً ، وأشدها إتقاناً للخدمة ، وأكثرها تفناً في
إدخال الراحة والسرور على زوارها ، وأمهرها في استدراج
مال الجمهور عن رضى واختيار ، إنما هي لساداتنا الأجانب ؟
وأن أحقرها مكاناً - وأفقرها سكاناً ، وشرها موقعاً ،
وأسوأها خدمة ، وأرخصها سعراً ، وأكثرها تفناً في إقلاق
راحة زوارها ، لا ينشأها إلا من هزل جيبه ، أو فسد ذوقه ،
أو اضطرت له حاجة ملحة ، أو ضحى براحته ولذته وسعاده
لفكرته الوطنية ونزعته القومية ، إنما هي لإخواننا المصريين ؟
ثم هل لاحظت أن المقاهي والفنادق الأرستقراطية
وما يشبهها وما يقرب منها ، صاحبها اجنبي ، ومديرها اجنبي ،
والمشرف على مالياتها اجنبي ، والذي يقدم اليك الخدمات
الرفيعة اجنبي ، ومن يقبض ثمن ما قدم ويأخذ منك
« البقشيش » اجنبي ؛ ثم من يمسح الأرض مصري ، ومن
يتولى أحقر الأعمال مصري ، ومن يمسح لك حذاءك في
المقهى أو الفندق مصري ، ومن يجمع أعقاب السجائر
مصري ؛ وأن الاجنبي له الخيار في الأعمال ، فما استنظفه عمله
بنفسه ، وما استنظفه كلف به مصرياً ؛ ثم أنت لا تجد
العكس أبداً في المقاهي المصرية والفنادق المصرية ، فلا تجد
رئيساً مصرياً وممرؤساً اجنياً ، ولا تجد الأعمال الرفيعة
لمصري ، والأعمال الوطنية لاجنبي ؛ وإذا كان لكل قاعدة
استثناء كما يقولون فقد ظفرنا في هذه الحال بقاعدة لا استثناء فيها

وهل تتبع الصناعات في مصر فرأيت أن كل صناعة
رأسها اجنبي وقنعاها مصريتان ؟ فخير ميكانيكي في مصر اجنبي
والجثالة مصريون . وقل مثل ذلك في أعمال الكهرباء والتجارة
والحدادة والخياطة ، وما شئت من صناعة ، حتى لقد زاحمونا

كيف يحسبون دخلهم وخرجهم، ولا يعرفون حساب أموالهم ولا يعرفون كيف يديرون شؤون حياتهم، فنضع هذا وهؤلاء لقانون الانتخاب الطبيعي وبقاء الأصلح؟

ثم هل علمت أن امتيازات أخرى بجانب هذه الامتيازات المادية، هي امتيازات عقلية أو نفسية؟

فإن غلبة الأجنبي في الصراع بينه وبين المصري في مرافق الحياة المادية أوجدت حالة نفسية شرا من الحالة المادية، مظهرها قلة وثوق المصري بنفسه وقوة وثوقه بالأجنبي. فإذا تعسرت حالة مرضية اتجه أهل المريض إلى الطبيب الأجنبي، وإذا أراد رب مال أن ينجح في إدارته قصد إلى مدير أجنبي، وإذا تعقدت مسألة حكومية أو أهلية اختير لها خير أجنبي، وإذا اختلف الباحثون في مسألة علمية كان الحكم الفصل قول المؤلف الأجنبي، وهكذا في كل شأن من شؤون حياتنا؟

واستتبع هذا تقويماً للأجنبي قيمة عالية، ودخل في التقويم أجنبيته أكثر مما دخل في التقويم فنه أو علمه

ألم يبلغك الحادث الطريف الذي حدث بالأمس من مدرس ثانوى للغة الفرنسية يتقاضى أمثاله في وزارة المعارف فوق الثلاثين جنياً، فكان من سوء حظ هذا المدرس أن تجلس بالجنسية المصرية قبل أن يبت في مرتبه، فلما طبقت عليه القوانين المصرية والحوائج المصرية، كانت نتيجة ذلك أنه لم يمنح إلا اثني عشر جنياً؟ ألم يبلغك المصري الذي اخترع بالأمس نوعاً من طوب البناء فعرضه على الجهات المصرية فخاب أمره، ثم عرضه في إنجلترا فأقرت قيمة اختراعه، ثم تأسست شركة انجليزية برأس مال انجليزي لاستغلال هذا المخترع المصري؟

والأمثلة على ذلك كثيرة تحدث كل يوم، فيكاد يكون مغروساً في أعماق نفوسنا أن القبة لا توضع على رأس سخيف، وأن الطربوش لا يمكن أن يلف رأس نابغ

إن كان في مصر دائن ومدين، فالدائن الأجنبي والمدين المصري.

وإن كان في مصر غنى وفقير، فالغنى للأجنبي والفقير للمصري.

وإن كان في مصر ذكاً وغباًوة، فالذكاء للأجنبي والغباء للمصري.

وإن كان في مصر نعيم وبؤس، فالنعيم للأجنبي والبؤس للمصري.

هذه الامتيازات في المادة والعقل والنفس شرماً اصطللنا على تسميته بالامتيازات الأجنبية

ومن الأسف أنها لا تحل بمؤتمر مؤتمر موترو، ولا باشتراك الدول ومفاوضتها، ولا بمعاهدة، ولا بقانون

إن حلها أصعب من ذلك كله لأنها تحتاج إلى عقول جبارة، وإرادات من نار، وحمية لا حد لها، ووطنية قوية وثابة

لأنها تحتاج إلى مؤتمرات لا من جنس مؤتمر موترو، إلى مؤتمر يتكون من فطاحل في التربية يعرفون كيف فشا

فيتا مرض العبودية حتى حجب إلينا العمل اللئيم وبغض إلينا العمل الرفيع، فرضينا من المقهى والفندق بمسح البلاط ولم أعقاب السجائر. ورضينا دائماً بفتات الموائد، ولم نستطع أن

نكون العمل الرفيع ونجلس في صدر المائدة؟ ويعرفون كيف يقضون على أخلاق العبيد من ذل ومكر وخنوع واحتيال

ودسائس، ويحلون محلها أخلاق السادة من عظمة، وصراحة، وحب للعمل، وطلب للمجد، وعشق للصدارة؛ ويعرفون

طبيعة المصري، وتاريخه، وبيئته، وأنواع الأسلحة العلمية والعقلية والخلقية التي يحتاج إليها ليستطيع الكفاح في الحياة

والسير مع الأجنبي على قدم المساواة فهذا خير ألف مرة من لجان تؤلف وتؤلف لزيادة

حصة في الحساب ونقص حصة في الجغرافيا ونحتاج لمؤتمر من القادة تكون مهمته العظمى إبادة

روح المنلة الفاشية، وبذر روح الغيرة النادرة، وتعهدوا بالتقاليد الجديدة التي ترعاها وتضمن نموها

نحتاج إلى مؤتمرات عديدة من هذا القبيل تغير وجه الحياة المصرية، وتخلق قلب المصري خلقاً جديداً، فلا يخاف مرموس

رئيساً، ولا يخاف مصري أجنبياً، ولا يخاف محكوم حاكماً

الخدمة

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

وقفت نعيمة أمام المرأة تنظر فيها ، وتأمل نفسها بادية في صقالها ، وفي يدها منفضة من الريش الناعم ، ثم صوبت عينها إلى أدوات الزينة المرصوفة . . لقد صارت الآن خادمة وصار عملها أن ترتب هذه الغرف الويرة الأثاث . . فلشد ما انتقلت بها الأحوال ! منذ سنتين اثنتين ، لا أكثر ، كانت تنام على مثل هذا السرير . . وكان لها خدم ، وحولها حشم . . وكانت قلما تقوم قبل الضحى . . كانت تفتح عينها ، وتمطى ، وتثأب ، وتنظر إلى الساعة الدقيقة على معصمها

نحتاج إلى مؤتمرات تبيد الخوف إلا الخوف من الذل والعار ، وتبيد السيطرة إلا احتراماً لخلق أو قانون

ما أصعب هذه المؤتمرات وما أشقها وما أخرجنا إليها ! أنها تكون من رجال من أمة واحدة ، ولكنها أصعب من مؤتمر مثلت فيه كل الدول ، لأنها مؤتمرات لا تلغى قانوناً موضوعاً ، ولكنها تلغى أخلاقاً موروثة ، وتقاليد سمرها الزمان ، وتحطم أو تادأ سر عليها الحاكم الظالم المستبد حتى صلبت الأرض عليها

لست أو من بنظرية العمال عاطلين حتى يصعب على الأجنبي والمصري الحصول على العيش الرغد على السواء . فأما إن سئل تحصيل العيش على الأجنبي وصعب على المصري فليست النظرية - إذن - نظرية عمال عاطلين ، ولكنها نظرية فقر في الأخلاق ، وجهل بفن الحياة

فهل لنا وقد نجحنا في مؤتمر الامتيازات الأجنبية أن نوجه هممنا لمعالجة أختها الامتيازات التي هي من نوع آخر علنا نتجح أيضاً ؟

أحمد أمين

فتعلم أن الشمس قد ارتفعت ؛ وأنه آن لها أن تنهض . وتمد يدها إلى الزر ، وتضغط فتجىء الخادمة - بهية - وتسألها : نعم يا ستي ؟ فتقول لها أعدى الحمام ، فتفعل وتجيئها قبل ذلك بالشاي وتنحي الستائر . . وتهم بهية بالخروج فتناديها وهي تتقلب على السرير من الكسل ، والنبي يا بهية دوسي لي على كتنى . . كان هذا منذ سنتين . . كأنه حلم . . زالت النعمة كلها وأفلس أبوها وإفلاساً بتدليس . . وانتحر . . وتركها تملك قوت يومها . . استطاعت أن تحيا ، على نحو ما ، بضعة شهور ، ثم لم يبق بد من ابتغاء الوسيلة إلى القوت . . وهذا أول بيت غريب دخلته لتعمل فيه

وانتقلت نعيمة إلى السرير ، وتناولت الوسائد الصغيرة المبعثرة عليه ، لتصلحها وترتيبها ، فأوحى إليها منظر السرير الواطئ اللين الشعور بالحاجة إلى التغطى . . أن تستلقى عليه وتمد رجلها وتفتح ذراعها وتثأب وتقول : آ . . آ . . الخ . . ولم لا ؟ . . إن هذا الجناح من البيت ليس فيه أحد . . وقد خرج سيدها منذ ساعة وهي الموكلة بهذه الناحية . . وليس هناك من تخشى أن يفاجئها سوى : حسن . . ما أثقله ! هو رئيس الخدم . يدخل في رحته من يشاء ويخرج منها من يشاء . لم يكن في بيتها هي أيام النعمة رئيس للخدم . كانوا جميعاً خداماً ، وكانت هي الرئيسة دون سواها . . أمها ميتة ، وأبرها يدع لها هذه الأمور . . ولكن جميل بك يؤثر نظاماً غير هذا . . ولا سيما بعد أن فسد ما بينه وبين زوجته فخرجت من البيت

وجلس على السرير ، وهي تحدث نفسها بأنها لاشك تستطيع أن تسمع وقع قدمي حسن ، إذا خطر له أن يجيء إلى هذه الناحية . فانه ضخم غليظ ثقل . . ومشيه دبدي . ومالت على السرير ، وأراحت جسمها البض على فراشه اللين ، وحدثت نفسها ، وهي تحس أن جسمها يسترخى ، أنها خليفة أن تحمد الله على التوفيق إلى العمل ، في بيت كهذا ، بعد الذي نزل بها ، وإنها إذا كانت لاتنام على هذا السرير فإن من بواعث سرورها أن يكون أمره موكولاً إليها ، وأن يكون في وسعها أن تروح ونجى في هذا البيت الحسن ، وأن تكون في خدمة

هذا السيد الكريم الوديع المذهب .. الحمد لله على كل حال ،
ولو أن سيدها رآها ، وهي راقدة على سريرها ، وأخذت
عينه هذا المنظر الفاتن ، لكان الأرجح أن يقف مفتوح الفم
من دهشة الإعجاب ولسحره ؛ وسمره في مكانه ، هذا الخط
التموج الذى بدأ من فخذه الأملس ، ويرتقى ويستدير مع
ردفها ، ثم ينحدر في لين مع خصرها ، ثم يعود فيرتفع حتى
يبلغ الحلة الحوة الناثرة من ثديها الراسخ .. وكان شعرها
الذهبي مرسلا ، كأنه أمواج من النار على الوسادة . وأسندت
نعيمه خدها الأسيل على الحرير الناعم ، وتنهت ، وخطر لها
أن حظها على كل حال خير مما كان يمكن أن يكون .. كل شئ ،
هنا حسن ، الاحسن ، ... فانه دميم غليظ ، وثقيل الدم بارده ،
وفظ شرس ... ونظراته أعوذ بالله منها ! ... إنها لتعلق
بصدرها ، فتحس أنها نفذت إلى ماتحت ثيابها ، فكأشها واقفة
أمامه عارية لا كاسية ! ... وما أكثر ما يلبس كتفها ، وهو
يحدثها ، أو يدعوها إلى الوقوف ، .. قسرى الرعدة في بدنها ..
وأصابه ١٠٠٩ . يا حفيظ ! .. قصيرة ، غليظة ، مبططة !

وأغفت نعيمة ، وهي تفكر في هذا وما إليه من مظاهر
حياتها الجديدة ، ثم انتفضت قائمة وفي يقينها أن بعضهم ينظر
إليها . ولكنها لم تر في الغرفة أحدا ، فلا شك أنها كانت تحلم
أو لعل هذا ضميرها يزجرها عن الاجترار والتسحب بهذه
الطريقة

ووقفت نعيمة وأجالت عينها فيما حوّلها ، فلهجت زجاجة
عطر صغيرة ، فقد كانت فيما مضى تتخذ مثلها ، بل كان هذا هو
العطر المفضل عندها . واضطربت يدها ، وهي تناول الزجاجة .
وترفع عنها النطاة .. وأدنتها من أنفها الجميل ، لتشم ، وتنعم
بالأرج المقتتر .. وإذا كان لا تسعها الآن أن تعطر ، فلا أقل
من متعة الأنف .. وما البأس .. وأحست وهي تنشق العطر
الخفيف بالحنين إلى الأيام السالفة .. وتفلتت الزجاجة من
بين أصابعها فارتفعت كفها الرخصة ، بسرعة ، إلى فمها ،
لتكتم صرخة جزع حين رأت الزجاجة تهوى على السجادة ،
وقد حتمت السجادة أن تتكسر ولكن ما فيها أريق كله ، وملا
الغرفة بارجح ، فصار المكان كأنه بستان زهر . وصوبت عينها

إلى السجادة فرأت العطر قد رسم دائرة كبيرة داكنة على
النقوش الفارسية الجميلة ، فالتحنت والتقطت الزجاجة الفارغة ،
وردتها إلى مكانها . وسمعت في هذه اللحظة صوتا فريعت
ودارت على عقبها ، فإذا حسن أمامها يتنهد النظر كأنما يريد
أن يأكلها بعينه ، وكان قد دخل كالقطة ، وساعده لين السجادة
السميكة على إخفات صوت قدميه الغليظتين

وكان حسن ينهج كأنما كان يجرى . وكانت أنفاسه تروح
ونجي . بسرعة ، وعيناه كالجرتين ، ونعيمة ترى هيئته ، وترعد
كأنها في ثلاجة ، وقد أيقنت أنها فقدت عملها .. وهل يبقيا
حسن وقد رأى ما صنعت ١٠٠٩ .. ربما .. فما صنعت شيئا في
الحقيقة سوى أن زجاجة عطر سقطت من بين أصابعها ؛
ولكن الرجل فيه جفوة وغطرسة ، وهو قاس ، وقد أطفاه
أن سيده ترك له أمر الخدم .. فهل يطردها .. أم تراه سيقترق
بها ويعفو عنها ؟ ..

ولم تمض في تفكيرها ، فقد مد حسن يديه إليها ، بفتة ،
وتناول كتفها - أو على الأصح ثوبها على كتفها - وهزها
وقال لها : سيكون هذا آخر لعبك هنا ،

فتوسلت إليه ، وأقبلت عليه تستعطفه ، وتقول له إنها
محتاجة إلى البقاء ، وأين تذهب إذا طردها ؟ ..
فقال بجفوة : تريقين زجاجة ثمنها ثمانون قرشاً وتظنين
أن في وسعك أن تبقى ؟

فأيقنت نعيمة أن هذا آخر عهدا بالبيت الجميل ، والسيد
الوديع الطريف ، وصار صدرها يعلو ويهبط .

ولم تفت حسن حركة صدرها المغرية ، فدنا منها وقال :
ثم إنى رأيتك راقدة فوق هذا السرير أيضاً ،

فكادت نعيمة تسقط على الأرض ، وأحست أن رجلها
تخذلانها .. ستفقد الآن عملها على التحقيق !! ومن ذا الذى
يستخدم مثلها وهي حديثة عهد بالخدمة ؟ . وكانت يدا حسن
لا تزالان على كتفها فشدهما على جسمها ، حتى لقد أحست
نعيمة أن أصابعه انغرزت في لحمها ، وشعرت بأنفاسه الحارة
على وجهها وسمعتة يقول : إذا أردت البقاء فليس هناك إلا
طريقة واحدة ،

وكانت نعيمة تعرف أن له أن يخرج الخدم، فقالت وهي ذاهلة : كيف ؟ ما ذا تعني ؟ ،

وكانت تعلم ما ذا يعني ، وتقرأه في عينيه ، ولكنها كانت تؤثر الطرد والجوع على هذا .. كلا .. أبدأ
فقال : « إنك تعرفين ما أعني .. لقد رقدت على هذا السرير مرة .. ارقدي عليه مرة أخرى ،
فقرعت وإن كانت تعلم مراده ، وصاحت به : « أبدأ ..

مستحيل ،
ولكن حسن حملها كالدجاجة بين ذراعيه ، وألقاها على السرير ، وركع أمامها ، وأهوى بشفتيه الغليظتين على غلاتي شفتيها الرقيقتين ، وكانت يداه قاسيتين ، وكانت تجرحان جسمها الغض ، وهي تحاول أن تفلت منه ، وهو يشد عليها ؛
وهمت بأن تصرخ فوضع كفه على فمها ، وأخرسها ، ثم تناول ثوبها عند صدرها وجذبه فتمزق وتعبرى صدرها فأكب عليها كالجنون ، فلم تعد تطيق الصبر ، وفضلت أن تخسر عملها ، وأن تتضور وتقسول في الطريق ، وأطلقتها صيحة مجلجلة خليقة أن تجتمع عليهما كل من في البيت فاتفق حسن قائماً وصاح بها بدوره ، « إنك مطرودة . أخرجي ، وشرع يخرج من الغرفة بسرعة قبل أن يجيء أحد على صوتها ، وإذا بسيدته في الباب .

وقال جميل بك : « ما هذا ؟ »
فقال حسن : « سيدي .. لقد رأيت نعيمة ترقد على هذا السرير ؛ ولم يكفها هذا ، بل أراقت زجاجة العطر ..
ولكن جميل بك لم يكن يسمع شيئاً مما يقول حسن ، وإنما كان ينظر إلى نعيمة ، وهي واقفة في هذا الثوب الذي صار هلاهيل ، وكانت تجمع يديها على صدرها لتستره .
ولكنها لم تستطع أن تستر منه إلا قليلاً .. والتفت جميل بك من نعيمة المطرقة المتقدة الوجه من الحياء إلى هذا الخادم النذل وصاح به : « أخرج فانك أنت المطرود ..
فخرج وظهره مقوس

ثم التفت جميل بك إلى نعيمة وقال : « إنى آسف لما حصل .
لم أكن أنصوّر أن هذا الرجل الذي ائتمنته وحش ...
فلننسه ...

فأدارت نعيمة وجهها إلى حيث أريقت الزجاجة وقالت
لقد سقطت مني .. أريقت كلها ولم يبق فيها ولا قطرة ،
فقال جميل بك ببساطة : « لا بأس .. لا بأس .. إذا كنت تستحقين عقاباً ، فقد لقيت فوق ما تستحق أية مجرمة صغيرة مثلك ،

فابتسمت نعيمة ، وكانت لا تزال تحاول عبثاً أن تضم طرفي الثوب الممزق الذي أصارته يدا حسن كالعباءة لولا ضيقه . ومشى جميل بك إليها وقال لها وهو يلبس الثوب : لم يعد هذا يصلح ، وأشار إلى خزانة الثياب وقال : اخلعيه وخذى شيئاً من هنا بدلاً منه . ولم يتركها تفعل ما أمرها به ، بل نزعها عنها فصارت أمامه في ثيابها التحتية ، وهي كافية للستر ، ولكنها تظهر من الصدر والكتفين أكثر مما يكشف في العادة . على أن جميل بك لم يكن ينظر إلى ما بداله من جسمها ، بل إلى نقاسة الحرير الذي تلبسه تحت هذا الثوب الممزق ، فقد هز رأسه كالمتعجب ، ومضى إلى الخزانة فجاء منها بثوب من أثواب زوجته ألقاه إليها ومشى إلى النافذة . ولم يخف على نعيمة معنى النظرة فقد كانت صريحة فارتدت الثوب وقالت : « هذه الثياب التحتية بقية من زمن النعمة وقد اشتريتها بنفسى ،

فدار وقال : « إيه ؟ »
فقال ببساطة وابتسام : « لقد كنت أستطيع أن أشتري ما أريد .. قبل الكارثة ،
فذهب إلى السرير وقعد عليه وقال وهو مقطب : « ما اسمك ؟ اسمك كله ،

فذكرته له فقال : « اسمي ... هل كان أبوك تاجراً في الجزاوى ... ؟ »

قالت : « نعم ،
قال : « وماذا صنع الله به حتى احتجت إلى هذا ؟ »
قالت : « مات ... اتحرر ... »

فقال : « اممم ! ... إلى آسف ... ، لم أكن أعرف هذا ... لو كنت أعرفه لما تكلمت بهذه اللهجة عنه ،
فابتسمت ولم تستطع أن تقول شيئاً . فقال وجذبها إليه

فائز الأساة الأورلسية

الصراع الأخير

بين الموريسكيين واسبانيا

للأستاذ محمد عبد الله عنان

(٢)

سرى إلى الموريسكيين يأس بالغ يذكى السخط العميق
فمولوا على الثورة مؤثرين الموت على ذلك الاستشهاد المغنوى
الهائل . ونبتت فكرة الثورة أولافى غرناطة حيث يقيم أعيان
الموريسكيين ، وحيث كانت جمهرة كبيرة تحشد فى ضاحية
« البيازين » ؛ وكان زعيم الفكرة ومثير ضرامها موريسكى
يدعى فرج بن فرج ؛ وكان ابن فرج صباغاً بمهنته ، ولكنه
حسباً تصفه الرواية القشتالية كان رجلاً جريئاً وافر العزم
والحماسة ، يضطرب بغضاً للتصارى ، ويتوق إلى الانتقام
الذريع منهم ؛ ولا غرو فقد كان ينتسب إلى بنى سراج وهم
من أشرف غرناطة وفرسانها الانجاد أيام الدولة الإسلامية .
وكان ابن فرج كثير التردد على أنحاء البشرات ، وثيق الصلة
بمواطنيه ؛ فاتفق الزعماء على أن يتولى حشد قوة كبيرة منهم
ترحف سراً إلى غرناطة ونجوز إليها من ضاحية البيازين ، ثم
تفاجئ حامية الحمراء وتسحقها وتستولى على المدينة ، وحددوا
للتنفيذ يوم الخميس المقدس ، من شهر إبريل سنة ١٥٦٨
إذ يشغل التصارى عندئذ باحتفالاتهم وصلواتهم ؛ ولكن
أنباء هذا المشروع الخطير تسربت إلى السلطات منذ البداية
فأخذت التحولات لدرته ، وعززت حامية غرناطة ، وحاميات
الثغور ، واضطر الموريسكيون أزاء هذه الآهة أن يرجئوا
مشروعهم إلى فرصة أخرى

واستمر الموريسكيون على عزمهم واهبتهم ، ووجهوا
بعض الكتب خفية إلى أمراء الثغور فى المغرب يطلبون إليهم
الثور والعون ؛ فوقع كتاب منها فى يد حاكم غرناطة ؛ وتقول

وأجلسها بجانبه على السرير : « اسمعى ... أن هـــــ لا يجوز أن
تعمل كخادمة ،

فقلت باخلاص : « إلى مسرورة ... وجودى هنا خير
ما كنت أنتظر ... والآن اسمع لى أن أذهب وأغير الثوب
وأرد هذا ،

وأشارت إلى الثوب الذى كساها فقال : « خله لك ...
وغيره أيضا ... كل ما فى الخزانة خذيه ،

فقلت : « سيدى ... لم أعتد أن آخذ شيئاً من أحد ،
قال وهو ينفض « أوه ... هذه مسألة يسهل أن نسويها

فيما بعد ... »

وكانت هى قد نهضت أيضا فوقفا متقابلين . وقد يكون
الأرج المتضوع فى الغرفة أو غيره هو الذى أدار رأسيهما
فقد مال عليها فلم تبعد ، ولثم فيها . وكانت القبة فى أول
الامر خفيفة — لمسألاً أكثر — ولكن الأيدى ارتفعت
إلى الأكتاف فكان عناق طويل

وقال جميل بك : « نعيمة ... إنك ساحرة ... كان دائماً
يخطر لى أنك لست من الخدم ... ويخيل لى أنك ستبقين
هنا ... سيدة ... »

وكان قلب نعيمة يخفق بشدة فئات عنه قليلاً وهى تفكر
فى معنى ما سمعت سم قالت : « ولكن الست ؟
قال : « لا تقول الست كأنك مازلت خادمة ،
قالت وهى تضحك : « زوجتك إذن ؟ »

قال : « آه ... نسيت أن أخبرك أننا اتفقنا — أبوها وأنا —
على فض الأشكال بالحسنى ... لاحتاحكم ولا شئ ... طلقتهما
اليوم وانتهى الأمر ،

قالت : « الست آسفا ؟ »

قال : « كلا ... كان هذا أحسن حل ... حياتنا مستحيلة ...
لأوافق ،

ولأول مرة منذ سنتين شعرت نعيمة أن لها بيتاً ، ونظرت
إلى السرير — سريرها الآن ، أو هو سيصبح سريرها بعد
العقد ... ثم ردت عينها إلى جميل بك فالتقت الشفاه مرة أخرى
فى قبلة معسولة

إبراهيم عبد القادر المازنى

معركة الحياة والموت، وبدأ الزعماء باختيار أمير يلتفون حوله، ويكون رمز ملكهم القديم فوق اختيارهم على قتي من أهل البيازين يدعى الدون فرناندو دى فالور؛ وكان هذا الاسم النصراني القشتالي يحجب نسبة عربية اسلامية رفيعة ذلك أن فرناندو دى فالور كان ينتمى فى الواقع إلى بنى أمية وكان سليل الملوك والخلفاء الذى سطعت فى ظلمهم الدولة الاسلامية فى الأندلس زهاء ثلاثة قرون، وكان قتي فى العشرين تنوه الدواية القشتالية المعاصرة بوسامة محياه، ونبل طلعه؛ وكان الأمير الجديد يعرف خطر المهمة التى انتدب لها، ولكنه كان يضطرم حاسة وجراة وإقداما، فى الحال غادر غرناطة سرا إلى الجبال ولجأ إلى شيعته آل فالور فى قرية بزنانر، فهرعت اليه الوفود والجموع من كل ناحية، واحتفل المورييسكيون بتتويجه فى احتفال بسيط مؤثر، فرشت فيه على الأرض أعلام اسلامية ذات أهلة فصلى عليها الأمير متجها صوب مكة، وقبل أحد أتباعه الأرض رمزا بالخضوع والطاعة، وأقسم الأمير أن يموت فى سبيل دينه وأهله، وتسمى باسم ملوكى عربى هو محمد بن أمية صاحب الأندلس وغرناطة، واختار محمد عمه الملقب بالزغوير، قائدا عاما لجيشه، وقد كان صاحب الفضل الأكبر فى اختياره للرياسة، وبعث ابن فرج على رأس بعض قواته إلى هضاب البشرات ليجمع ما استطاع من أموال الكنائس، واتخذ مقامه فى أعماق الجبال فى مواقع منيعة، وبعث رسله فى جميع الأنحاء يدعون المورييسكيين إلى خلع طاعة النصارى والعود إلى دينهم القديم

ووقعت نقمة المورييسكيين بآدى ذى بدء على النصارى المقيمين بين ظهرانيهم فى أنحاء البشرات ولا سيما القسس وعمال الحكومة؛ وكان هؤلاء يقيمون فى محلات متفرقة سادة قساة يعاملون المورييسكيين بمنتهى الصرامة والزرارية، وكان القسس بالآخص أس بلائهم ومصائبهم؛ ومن ثم فقد كانوا ضحايا الفورة الاولى. وانقض ابن فرج ورجاله على النصارى فى تلك الأنحاء فزقوهم تمزيقا. وقتلوا القسس وعمال

الرواية القشتالية أنه كان موجها من أحد زعماء البيازين إلى مسلمى الثغور المغربية يستحلهم فيه الغوث بحقوق رباط الدين الدم ويقول: لقد غمرتنا الهموم، وأعداؤنا يحيطون بنا إحاطة النار المهلكة. إن مصائبنا لأعظم من أن نتحمل، ولقد كتبنا إليكم فى ليال تفيض بالعذاب والدمع، وفى قلوبنا قبس من الأمل، إذا كانت ثمة بقية من الأمل فى أعماق الروح المعذب، ولكن الحكومات المغربية كانت مشغولة بمشاكلها الداخلية، فلم يلب داعى الغوث سوى جماعة من المتطوعين الذين نفذوا سرا إلى إخوانهم فى البشرات، ومنهم كثيرون من البحارة المجاهدين الذين كانوا حربا عوانا على الثغور والسفن الأسبانية فى ذلك العصر

وفى شهر ديسمبر سنة ١٥٦٨، وقع حادث كان نذير الانفجار؛ إذ اعتدى المورييسكيون على بعض المأمورين والقضاة الأسبانيين فى طريقهم إلى غرناطة ووثبت جماعة منهم فى نفس الوقت بشرذمة من الجند كانت تحمل كمية كبيرة من البنادق وفنكت بهم جميعا. وفى الحال سار ابن فرج على رأس مائتين من أتباعه ونفذ إلى المدينة ليلا، وحاول تخريب مواطنيه فى البيازين على نصرته ولكنهم أبوا أن يشتركوا فى مثل هذه المغامرة الجنونية وقد كان موقفهم حرجا فى الواقع لأنهم يعيشون إلى جانب النصارى على مقربة من الحامية وهم أعيان الطائفة ولهم فى غرناطة مصالح عظيمة يخشون عايبا من انتقام الأسبان؛ بيد أنهم كانوا من وراء الثورة يؤيدونها برعايتهم ونصحهم واهلهم فارتد ابن فرج على أعقابهم واجتاز شعب جبل شلير (سييرا نفادا)، إلى الهضاب الجنوبية فيما بين بلش (فيليز) والمرية، فلم تمض بضعة أيام حتى عم ضرام الثورة جميع الدساكر والقرى المورييسكية فى أنحاء البشرات، وهرعت الجموع المسلحة إلى ابن فرج ووثب المورييسكيون بالنصارى القاطنين فيما بينهم ففتكوا بهم ومزقوهم شرمزق

— ٣ —

اندلع لهيب الثورة فى أنحاء الأندلس ودوت بصيحة الحرب القدعة وأعلن المورييسكيون استقلالهم واستعدوا الخوض

الحكومة، ومثلوا بهم أشنع تمثيل، وكانت حسبما تقول الروايات، القشتالية مذبحة عامة لم ينج منها جنى النساء والأطفال والشيوخ؛ وذاعت أنباء المذبحة الهائلة في غرناطة فوجم لها المورييسكيون والنصارى معا، وكل يخشى عواقبها الوخيمة، وكان المورييسكيون يخشون أن يبطش النصارى بهم انتقاما لمواطنيهم، وكان النصارى يخشون أن يزحف جيش المورييسكيين على غرناطة فتسقط المدينة في يدهم وعندئذ يحل بهم النكال الرائع. بيد أن الرواية القشتالية تنصف هنا محمد بن أمية فتقول أنه لم يحرض على هذه المذابح ولم يوافق عليها، بل لقد ثار لها وعزل نائبه ابن فرج عن القيادة، فنزل عنها راضياً واندمج في صفوف المجاهدين، وهنا يختفى ذكره ولا يبدو على مسرح الحوادث بعد

— ٤ —

وكانت غرناطة في أثناء ذلك ترتجف سخطاً وروعاً؛ وكان حاكمها المركز منديخار يتخذ الأهبة لقمع الثورة منذ الساعة الأولى، بيد أنه لم يكن يقدر مدى الانفجار الحقيقي، ففصت غرناطة بالجند، ووضع المورييسكيون أهل البيازين تحت الرقابة رغم احتجاجهم وتوكيدهم بأنهم لا علاقة لهم بالثائرين من مواطنيهم؛ وخرج منديخار من غرناطة بقواته في ٢ يناير سنة ١٥٦٩ تاركاً حكم المدينة لابنه الكونت تنديلا، وعبر جبل شلير (سيرانفادا) وسار تواء إلى أعماق البشرات حيث يحتشد جيش الثوار؛ وكان محمد بن أمية متحصناً بقواته في آكام بوكيرا الوعرة، وكان المورييسكيون رغم نقص مواردكم وسلاحهم قد حذقوا حرب الجبال ومفاجأتها. فما كاد الأسبان يقتربون منهم حتى انقضوا عليهم، ونشبت بين الفريقين معركة عنيفة، ارتد المورييسكيون على أثرها إلى سهول باترنا، وتحلف كثيرون منهم ولا سيما النساء، فقتل الأسبان بهم فتكا ذريعاً، وحاول منديخار أن يتفاهم مع الثائرين على العفو وأن يخلدوا إلى السكينة، وبعث إليهم بعض المسلمين من مواطنيهم، وكان محمد بن أمية يميل إلى الصلح والتفاهم، ولكن المتطرفين من أنصاره ولا سيما المتطوعين المغاربة رفضوا الصلح، فاستؤنفت المعارك، ورجحت كفة الأسبان

وهزم المورييسكيون مرة أخرى، وفر محمد بن أمية وأسرت أمه وزوجه وأخواته؛ وأصيب الأسبان بهزيمة شديدة في آكام، جواخاريس، ولكن المورييسكيين أثروا الارتداد؛ وقتل الأسبان من تخلف منهم أشنع قتل، وكان ممن تخلف زعيم باسل يدعى الزمار، أسره الأسبان مع ابنته الصغيرة وأرسلوه إلى غرناطة حيث عذب عذاباً وحشياً إذ نزع لحمه من عظامه حياً، ثم مزقت أشلاؤه؛ وهكذا كانت أساليب الأسبان ومحاكم التحقيق أزماء العرب المنتصرين

واختفى محمد بن أمية مدى حين في منزل قريبه ابن عيو، وكان من انجاد الزعماء أيضاً، وطارده الأسبان دون أن يظفروا به. على أن هذه الهزائم الأولى لم تقل عزم المورييسكيين فقد احتشدوا في شرق البشرات في جموع عظيمة وأخذوا يهددون المري، فسار إليهم المركز لوس فيليس، على رأس جيش آخر، ووقعت بين الفريقين عدة معارك شديدة قتل فيها كثير من الفريقين، ومزق المورييسكيون، وقتل الأسبان كماداتهم بالأسرى وقتلوا النساء والأطفال قتلاً ذريعاً

وقعت في نفس الوقت في غرناطة مذبحة مروعة أخرى فقد كان في سجنها العام نحو مائة وحسين من أعيان المورييسكيين اعتقلوا رهينة وكفالة بالطاعة فأذاع الأسبان أن المورييسكيين سيهاجمون غرناطة لانقاذ السجناء بمؤازرة مواطنيهم في البيازين؛ وعلى ذلك صدر الأمر بإعدام السجناء فانقض عليهم الجند وذبحوهم في مناظر مروعة من السفك الأثيم وكان لهذا الحادث الأخير أثره في اذكاء نار الثورة، وكان نذيراً جديداً للمورييسكيين بأن الموت في ساحة الحرب خير مصير يلقون، فصرى إليهم لبب الثورة بأشد من قبل وطافت بهم صيحة الانتقام فانقضوا على الحاميات الأسبانية المبعثرة في أنحاء البشرات ومزقوها تمزيقاً وهزموا قوة أسبانية تصدرت لقاتلهم واحتشدت جموعهم مرة أخرى تملأ الهضاب والسل؛ وعاد محمود بن أمية ثانية إلى تبوأ عرشه الخطر، والتف حوله المورييسكيون أضعاف ما كانوا، وبعث أخاء عبد الله إلى القسطنطينية يطلب العون من سلطانها، ولكن سلاطين قسطنطينية لم يلبوا ضراعة المورييسكيين برغم

في الأدب المقارن

المعنى والأسلوب

في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ غفرى أبو السمود

المعنى الصادق الرفيع والأسلوب المحكم الجليل هما قوام كل أدب خليق بهذا الاسم ، لا يغنى أحدهما إذا غاب الثاني ؛ فلا بد من شعور عميق ، أو تفكير ثاقب جدير ببناء الإنشاء والقراءة ، ولا بد بجانب ذلك من عبارة منسجمة جميلة تعرض المعنى على أحسن وجه وأجبه إلى النفوس ؛ وكبار الأدباء في شتى الأمم يجمعون دائماً بين الفكر الواسع المتصرف في شؤون الحياة ، وبين المقدرة اللغوية التي تذلل لهم أعنة البيان ، ويتصرفون بها في الألفاظ والتراكيب ، ويكون لكثير منهم فضل ترحيب جوانب اللغة

تكرارها منذ سقوط غرناطة ولم يلبها غير إخوانهم المجاهدين في إفريقية ، فقد استطاعت جموع جرته مخاطرة منهم أن تجوز الشواطئ الإسبانية ومنهم فرقة من الترك المرتزقة وإن تهرع إلى نصرة المنكوبين

وهكذا عاد النضال إلى أشده ، وخشى الأسبان من احتشاد المورييسكيين في البيازين ضاحية غرناطة ، فصدر قرار بثشريدتهم في بعض الأنحاء الشمالية ، وكانت مأساة جديدة مزقت فيها هذه الأسر التعسة وفرق فيها بين الآباء والأبناء ، والأزواج والزوجات في مناظر مؤثرة تذيب القلب ، وسار المركز لوس فيليس في نفس الوقت إلى مقاتلة المورييسكيين في سهول المنصورة على مقربة من أراضى مرسية ، ونشبت بينه وبينهم عدة وقائع غير حاسمة ، ولم يستطع متابعة القتال لنقص في الآهبة والمؤن وكان بينه وبين زميله منديخار خصومة ومنافسة كاتنا سبباً في اضطراب الخطط المشتركة ، وأتهم منديخار بالعطف على المورييسكيين فاستدعي إلى مدريد ، وأقيل من القيادة ، واتخذت مدريد خطوتها الجديدة الحاسمة في هذا الصراع الذي لا رحمة فيه ولا هوادة

(البحث بقية)

(والقتل منوع)

محمد عبد الله هنانة

ولكساب تعبيراتها جدة ومرونة ، وإعطاء بعض العاقلها منزلة سامية لورودها مورداً حسناً في بعض آثارهم ، وشأن الأديب الكبير في ذلك شأن غيره من رجال الفنون ، فالمصور مثلاً لا يبلغ الذروة في فنه حتى يجمع إلى خصب مشاعره بصراً بتأليف الألوان والأصباغ ، وكل فنان لابد له من الجمع بين رقة الشعور وبين البصر بالآلات التي يكون بها أداء ذلك الشعور

والفكر واللغة ، أو المعنى واللفظ ، شديداً التوثق والتوشج ، فلا ندحة للأديب عن التأثير بروح اللغة التي يكتب فيها وقرائنها على مدى الأجيال ، ولا سبيل له إلى الإنشاء والنظم فيها حتى يختلط بروحها ، وتمتزج أفكاره بالمفردات والأساليب التي تهيئها له اللغة ؛ والأديب الصانع يختار من المفردات تلك التي تنهض بأفكاره ومشاعره في أوجز لفظ وأحكمه وأوضحه بياناً ، بما تمتاز به تلك المفردات من أجواء من المعاني رحبة تجمعت حولها على مرور الأجيال وتوالي الاستعمال ، حتى غدت يثيرها مجرد ذكر تلك المفردات على نحو خاص ، وذلك ما يجعل آثار بعض الأدباء المقتنين والشعراء المجودين متعذرة الترجمة إلى غير لغتها ، لتعذر نقل هذه الأجواء المعنوية برمتها من لسان إلى لسان ، بل يتعذر أحياناً الفريق بين المعاني والأساليب التي هي مفرغة فيها .

لتمازجها تمازج الروح والجسد

ويبلغ الأدب كماله حيث يسود القصد والاعتدال بين اللفظ والمعنى ، فإذا استبد المعنى بالأهمية كلها وتحيف اللفظ خرج الأثر المنشأ من حظيرة الأدب إلى حيز العلم ؛ وإذا تحيف اللفظ المعنى وصار غاية في ذاته مبطلة قيمة الأثر الأدبي ، وأصبح أشبه بالزخرف والصناعة منه بالفن السامي . ويغلب الاحتفاء بالزخرف اللفظي في عهدة دولة الأدب ، إذ يكون الشعر مجرد أهازيج وقواف موسيقية نافهة المعاني ، وفي عهدة انحطاط الأدب حين ينصرف الأدباء عن لباب الحياة إلى القشور ؛ وبالزخرف اللفظي والبراءة اللغوية والأسجاع والإيقاع الموسيقي يكلف الأديب الناشئ أول عهده بالأدب ، وكلما نضجت نفسه وحصف ذهنه بتجربة الحياة واستيعاب المعارف تحول اهتمامه إلى المعاني والحقائق والتزم اللفظ في آثاره منزلة الصحيحة ، وهي كونه وسيلة للمعنى لا غاية في ذاته وقد عرف أنطاب الأدب الانجليزي بوسع بصرم بامرار لغتهم ، وإليه يرجع فضل توطئة جوانبها وتعميد مسالكها ، ولكل منهم في هذا الباب أثر : فشكسبير قد استخدم في رواياته أكبر عدد من مفردات اللغة استخدمه أديب ، وصرف تلك المفردات على شتى الوجوه ؛ وسبسر اغنى اللغة بما أدخل فيها من

ألفاظ جديدة لم تعرفها قبله ؛ وملتون أصبح اسمه علما على ضرب من النظم عذب الموسيقى نظم الزين ؛ وبوب بلغ الغاية من إحكام الصناعة وجزالة الأسلوب ؛ ووردزورث كان دائم التجارب في الأساليب يحاول أن يشق للشعر أسلوباً جديداً ؛ وتيسون تفنن في استخدام الالفاظ وتحوير التراكيب يؤلف بها روائع الصور الشعرية ، ولا تزال مخطوطات بعض أولئك الأدباء موضع دراسة النقاد والأدباء ، يتفقهون بها في أسرار اللغة ويزدادون بصراً بخصائص الالفاظ والتراكيب ، ويرون كيف يحل لفظ محل لفظ فنشرق به دياجة البيت من الشعر ويسفر به وجه المعنى جليلا بعد خفاء والنيات

على أن أولئك الأدباء برغم احتفائهم بالأسلوب ذلك الاحتفاء لم يغلبه على المعنى ولم يجعلوه غاية في ذاته ، ولم يصبح الأدب في أيديهم براعة في اللفظ وتأقفا في النسخ ، بل ظل اللفظ لديهم دائماً خادماً للمعنى ، وظل غرضهم الأول من الانشام الانصاح عن الفكر والشعور . ولم يسرف الأدباء في الاحتفاء باللفظ إلا في عهد المخطاط الشعر في بعض القرن الثامن عشر ، في حقبة لم تنجب شاعرا كبيرا ، ولم يحظ بالشهرة في حياته والذي ذكر بعد موته من أدباء الانجليزية إلا من أهلته لذلك نظرة في الحياة صادقة عميقة ، ولم تكن كل بضاعته أسلوباً مزخرفاً ، منمعا ، بل عرف من كبار الشعراء من لم يكن يولى أسلوبه كبير احتفاء ، ومع ذلك رفعه فكره الجوال في آفاق الحياة ، ونفسيته الجياشة بأشأت الاحاسيس إلى قمة المجد ، فيرون كان كما قال عن نفسه لا يعاود النظر في بيت شعر خطه ، ووردزورث نظم كثيراً من بدائع شعره في أبسط لفظ يستعمل في النثر والنحدث ، وهاردي لم يكن شعره إلا نثراً جيد النظم عارياً مجرداً من تلك الالفاظ الشعرية ذات الاجواء المعنوية ، ومن ثم لا يسمو به النقاد إلى طبقة الفحول كشكسبير وملتون ، بل يزلونه الطبقة الثانية بين الشعراء ، وهذا الأسلوب العاري المجرد يزداد شيوعاً في العصر الحديث

أما في العربية فكان الأمر على نقيض ذلك : فلم يكذب يكون بين كبار أدبائها بعد دخول الأدب طوره الفني من أهمل الأسلوب واحتق بالمعنى وحده ، وإن كان أكثرهم ليقدم الأسلوب على المعنى ويحتق للفظ ورثته أي احتفاء وإن تضام المعنى ولفظه ، فإذا كان النثر العربي يبلغ ذروته من الكمال على أيدي ابن المقفع والجاحظ ، والشعر العربي يجري إلى غايته في آثار المتنبي وابن الرومي والمعري ، حيث يجتمع صدق النظرة وجمال الأسلوب ، فإن غيرهم من مشهورى أدباء العربية إنما نه ذكروهم لبلاغتهم اللفظية ،

لا لفلسفة في الحياة معدودة ، ولا لرسالة في الأدب عتيدة . ومن أولئك البحترى ومن نحنا نحوه من الشعراء والمداحين ، والصاحب ابن عباد ومن سلك دربه من المنشئين المسجعين ؛ فالناظر في الآيات الآتية من نظم أشهر شعراء العربية ، يرى أن حظها من المعنى ضئيل ونصيبها من جزالة الأسلوب ورثته اللفظ وعذوبة الموسيقى كبير ، قال أبو نواس في مدح بعض الوزراء :

عباس عباس إذا احتدم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع
وقال البحترى في النسيب :

لما مشين بذى الأراك تشابهت أعطاف قضبان به وقنود
ومنى يساعدا الوصال ودهرنا يومان يوم نوى ويوم صدور
وقال أبو تمام في رثاء طفلين :

ما زالت الأيام تخبر جاهلا أن سوف تفجع مسهلاً أو عاقلاً
بدران شام الله أن لا بطلما إلا ارتداد الطرف حتى يأقلاً
إن الفجعة بالرياض نراضرا لأجل منها بالرياض ذوابلاً
نصيب هذه الآيات جميعها من الفكرة البعيدة أو النظرة المستقلة أو الشعور الصميم ضئيل . وماذا في قول أبي نواس إن العباس عباس والفضل فضل والربيع ربيع ، إلا أنه ظرف وأحسن نظم تلك الاسماء مزدوجة في سلك البيت ؟ وأى الناس لا يعبس إذا احتدم الوغى ؟ ولو قال : عباس بسام لكان وصفه بالشجاعة التي لا تحفل بالموت المحقق . ثم ماذا من جديد في جمع البحترى بين الغصون والفرد وشكواه النوى والصدود ، أو في تشبيه أبي تمام للطفلين بالبدرين الآفلين مرة وبالروضين المصوحين أخرى ؟ إنما فضيلة هذا الشعر كله حسن اختيار اللفظ النقي وجمال الموسيقى ولطافة التقسيم والمقابلة ، أما المعنى فلا عمق فيه ولا ابتكار

فلا احتفاء باللفظ ولو على حساب المعنى قد تزايد في العربية تدريجاً مع دخول الأدب طوره الفني ، طررت الدوين والتجويد ، وتزايد الولع بالنسجيع والمطابقة وغيرها من المحسنات اللفظية . وكاد الولع بالسجع عند الصاحب بن عباد فيما روى يبلغ حد الجنون ، حتى قيل إنه عزل قاضياً بذاجية يقال لها (قم) لأنه أراد أن يتم سجعاً فقال : أيها القاضي بقم ، قد عزلك بقم . وتكلف في بعض أسفاره كما حدث عنه ابن العميد أن يذهب إلى قرية غامرة ذات ماء ملح يقال لها النهار لا شئ إلا ليكتب إليه : كتابي هذا من النهار ، يوم السبت نصف النهار ، وما زال اللفظ يستبد باحتفال الأدباء ويطنى على المعنى ، حتى ارتد الأدب في عصور التدهور زخرفاً لفظياً صرفاً ، ولم يبق من المعنى إلا هذيان كهذيان المخالطين

إسم ذلك القائد أو صفته ، فما كان لكل ذلك أى دخل في نظم مثل ذلك القصيد :

وجرد من آرائه حين أضربت به الحرب حداً مثل حد المناصل
وسارت به بين القنابل والقنا عزائم كانت كالقنا والقنابل
وقد ظلمت عقبان أعلامه ضحى بعقان طير في الدماء نواهل
فكل هذه المعاني الدائرة حول شجاعة القائد وأمرائه التي
تفوق الجيوش ، وعزائم التي تفل السيوف ، والعقان التي تتبع
أعلامه لنهبل من دماء أعدائه ، كل هذه المعاني مطروقة من قبل
أبي تمام ، مذكورة بعده في ميمية المنبي المشهورة وغيره
من مدائحه لسيف الدولة ، ولا غرو فقد غدت أكثر معاني
الآداب في أبواب المدح والهجاء والفخر والوصف والحكمة
وغيرها ، تراناً متداولاً بين الشعراء من جيل إلى جيل ، وإذا تفنن
الشاعر صاغ بعضه صياغة جديدة أو ولد منه بعض التوليد ، فإذا
اتفق له أن صاغ معنى قديماً صياغة جديدة يفوق صياغة صاحبه
الأول صفق له النقاد وقالوا سرقة مغفورة ولص ظريف هو
أولى بالمعنى من صاحبه لأنه أجود لفظاً ، كما قيل في بيت البحرى
في مدح المتوكل :

فلوان مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لمشى إليك المنبر
أخذه وتصرف فيه من قول أبي تمام :

تكاد مقابله تهش عراسها فتركب من شوق إلى كل راكب
كان الشعراء إذا صرفوا القول إلى المديح أتوا بالمعاني الجوفاء
الهزيلة ، واحترفوا باللفظ يدارون بزخارفه ركاكة المعنى ، وكان
أكبر شعراء العربية في طور الآداب الفنى مداحين ، فامتلاً الآداب
العربى بذلك الضرب السقيم المعاني الطنان الالفاظ ؛ وإنما كان
الشعراء يبتكرون المعاني الجديدة يلبسونها من اللفظ أجل لبوس
حين ينظمون في غير المديح من الوجوه التي يدفع إلى النظم فيها
شعور صحيح وفكر ثاقب ، فكانت من ذلك حكم المنبي وأوصاف
ابن الرومى ونظرات المعرى ، كما ظهرت في الآداب العربى تلك
الظاهرة الفريدة ، وهى أن أشعار كثير من المقلين ومن يعدون
في الطبقة الثانية من الشعراء كالصولى والامام الشافعى ، تروع
النفس بصدقتها وحصافتها أكثر مما تروعها أشعار المكثرين
المشهورين ، لأن أولئك المقلين كانوا لا ينظمون الشعر إلا تلبية
لحافز نفسى ، وهؤلاء المكثرين كانوا ينظمون ابتغاء التوال

ومن عوامل احتفاء أدباء العربية باللفظ أيضاً ، أن الآداب
العربى في ظل الدولة الإسلامية كانت أكبره أدباً بلاطياً

فلا نبالغ إذا قلنا إن المعنى كان في أزهر عصور الأدب العربى
يحتل المكان الثانى بعد اللفظ ، وهذا واضح في أقوال النقاد .
قال الآمدي في موازته بين الطائيين : « وليس الشعر عند أهل
العلم به إلا حسن الذائق وقرب المأخذ واختيار الكلام ووضع
الالفاظ في مواضعها فان اتفق مع هذا معنى لطيف أو
حكمة غريبة أو أدب حسن فذلك زائد في بهاء الكلام ، وإن لم
يتفق فقد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه » . وقال الخليلي في
سياق حديث له أورده ياقوت في ترجمة صاحب بن عباد :
« الشاعر يطلب لفظاً حراً ومعنى بديعاً ونظماً حلوا وكلمة رشيدة
ومثلاً سهلاً ووزناً مقبولاً » ، فكل الاهتمام هنا موجه إلى لطافة
النسج والتجويد لا إلى عمق الفكرة والشعور

كان الشعراء في الجاهلية وصدر الإسلام يرسلون القول على
سجته في نديج يحكم يرمون به إلى بيان أفكارهم وشعورهم على أقصد
سبيل وأقربه ، فلما كان عهد التحضر والتثقف أحاطت بالآداب
عوامل أدت إلى تقديم اللفظ على المعنى ، منها فساد اللغة بمخالطة
الاعاجم فاشتد الحرص على طلب اللغة الصحيحة وإتقان أساليب
العرب الانحاح وتقليد قول المتقدمين . وزاد هذا الحرص شدة
اشتغال الاعاجم أنفسهم بالآداب وجدتم في تحصيل لغة العرب
ولسان الكتاب المنزل ، وسبقهم في العلوم والتأليف ، وتقاسمهم
بمحاكاة أدب الجاهلية وصدر الإسلام ، وتظاهروا بالقدرة على
النصرف في الالفاظ والتراكيب ، فكان مهمهم صحة التعبير وبلاغته
قبل صدق المعنى وعمقه

وعما زاد الأدباء انصرافاً إلى اللفظ وتجويده واختيار الأسلوب
والإقتنان في صياغته وتحويره ، إنتشار المدح والتكسب بالآداب ،
فإنه لما كانت الفضائل الإنسانية ، ولا سيما تلك التي كانت
مشهورة مطلوبة في المجتمع الإسلامى ، محدودة معروفة ، كان مجال
القول فيها محدوداً ومجال الابتكار ضيقاً ، فطلب الشعراء المداحون
السمة في جانب اللفظ ، يتأنقون في تزويقه وترصيعه ، ويمتاضون
عن الابتكار في المعاني بالأوزان الرشيقة والتوافيق الرخيمة
والنسيجات اللبقة ، والتقسيم والمقابلة والسجع والتجنيس . وهذه
المحسنات البديعية - ما راق منها وما سمج - تحفل مدائح أبى نواس
وأبى تمام والبحرئى والمتن . وابن الرومى ، إذا جردت من زيناتها
اللفظية لم يبق من نسيبها الاستهلال ومدحها المفرق شئ ذو بال ؛
من ذلك قول أبى تمام في مدح بعض القواد ، ولا داعى لذكر

التشبهات والمجازات ، بحيث يستطيع المتكلم من كل هذا أن يجمع حوله المستجدين ويستولى على الآليات ، دون أن يتدع في المعنى أو يتعمق في الشعور . كما تصرفك عذوبة اللحن المرسى عن تفاحة المعنى المتغنى به ؛ وقد استغل كتاب العربية كابن العميد والصاحب والبدیع والحريري ثروة اللغة هذه أبعد استغلال ، وجاءت رسائلهم ومقاماتهم معارض مانحة بتلك الكنوز العظيمة

ففي الأدبين العربي والانجليزي آثار باللغة حد الفن من الصدق والعق والجمال ، تجمع بين حرارة الشعور وجودة الأسلوب ؛ غير أن الأدب العربي لإحاطة تلك الظروف والمعامل به ، أحفل من الأدب الانجليزي بالآثار التي يغلب فيها اللفظ على المعنى ، وتظهر الصنعة على الطبع ، وتبدو فيه دلائل الاحتفاء بالأسلوب واضحة ، حتى في مخلفات أكبر أدبائه وأعظمهم حظاً من النبوغ والشاعرية . ويعد بين أقطابه أفراد لم تؤثر عنهم فلسفة في الحياة خاصة أو شخصية مستقلة ، ولم يرفع ذكرهم إلا اقتدارهم على تصريف الكلام ، ويمتلىء الأدب بآثار أولئك الأدباء التي تعجب بحلاوة أسلوبها وإن لم تعجب بعمق فكرتها ، فلنا نسرف إذا قلنا في الجملة إن الأدب العربي كان أدب أسلوب ، والأدب الانجليزي أدب معنى

فخرى أبو السعود

وأرسنقراطيا ، مكفوفاً عن شؤون المجتمع ، منزوياً عن أكثر مواضع القول وبجالات الفن ومسارح الأدب ، من وصف الطبيعة والتأليف التاريخي الفني ووصف آثار الأقدمين في عالم الحضارة والفنون ، وسبحات الخيال في عوالم الحقيقة والخرافة ، وتصوير آثار الرحلات والمغامرات ، قلما حرم الأدب طرق هذه المواضيع الجزء الخصبة الحافلة بمناوح التفكير والشعور والقول ، لم يبق لديه كبير مجال للإبتكار في المعاني ، فتوفر على الاقتنان في الالفاظ يدور بها في مجالاته المحدودة الموروثة عن المتقدمين .

وزاد مجال القول ضيقاً حرمان الأدب العربي من الاطلاع على الأدب اليوناني ؛ فلو كان على اتصال مستمر بذلك الأدب ، لتمهدت أمامه منادح للقول من جهة ، ولا نصرف اهتمامه من جهة أخرى إلى المعاني دون الالفاظ ، لأن المعاني دون الالفاظ هي التي تشارك فيها آداب الأمم المختلفة ، أما أدباء العربية الذين لم يطلعوا على أدب أجنبي راق ، فكان اعتدادهم بتفوق اللغة العربية على اللغات شديداً ، وكانت ألفاظها وتعبيراتها تقوم في مخيلتهم مقام الحقائق المنجزة ، وكان التجويد في استخدام تلك الالفاظ والتعبيرات في الأبواب المطروقة من قديم غاية الأديب ، فظل بيت زهير بن أبي سلى الذي قاله في عهد البداوة ، يصدق على شعراء العربية في أوج عهد الحضارة والثقافة :

ما أرانا نقول إلا معاراً أو معاداً من قولنا مكروراً
ثم لاشك في أن حياة الترف وزخارف العيش التي انغمس فيها العرب بعد الفتح ، وأبهة البلاط التي كان الأدباء يحومون حولها ويتزاحون في مواكبها ، كانت من أسباب شيوع الزخرف في الأدب الذي هو مرآة للحياة المحيطة به ، فإذا كان الأدب الفارسي قد كان في ذلك العهد من الضالة بحيث لم يؤثر كثيراً في أدب العرب ، فقد أثر الفرس في الأدب العربي بمظاهر الترف والبذخ المادية التي نقلها عنهم العباسيون وتركت آثارها في الأدب ، وهذا الترف الأدبي كالترف المادي دليل الرخاوة والضعف ، والسير إلى الانحلال .

وقد ساعدت طبيعة اللغة العربية ذلك الميل الذي غلب على أدبائها ، الميل إلى التأني في اللفظ ، وتنقيه بالمحسنات التي ينو المعنى تحتها ويتصامل ، وذلك لما للغة العربية من بلاغة أصيلة وموسيقى نغمة ، وما لألفاظها وتراكيبها في النفوس من روعة وبهاء ، وما لأوزان الشعر العربي وقوافيه من رصانة وجلال ، وما للغة من ثروة طائلة وغنى بطرق الاشتقاق وامتلاء بالمتراكبات ، واتساع لصنوف

في الطريق

كتاب جديد يصدر في سبتمبر

بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

أكثر من ٦٠ قصة في ٥٠٠ صفحة

قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش ، الثمن بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف

بشارع فاروق رقم ٢٢١ بمصر

الاشتراك بفصل في منتصف أغسطس

الحياة على الكواكب

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

لقد خطا علم الفلك خطوات فسيحة أنارت الإنسان وأنارت دهشته وأذهلته وأصبح بفضل ما اخترعه من الآلات الدقيقة ومن جمعه بين مبادئ العلوم الطبيعية والكيمائية واستعماته بالرياضيات ومعادلاتها من معقدة وغير معقدة ، أقول بفضل هذا كله استطاع العلماء أن يحلوا بعض المشكلات وأن يفهموا بعض أسرار الكون .

من كان يتصور أن الإنسان يستطيع أن يعرف شيئاً عن تركيب الشمس والاجرام السماوية ، حتى الفيلسوف (كنت) وهو العالم ذو النظر الواسع والبصيرة النافذة لم يخطر على باله أن الإنسان سيصل إلى ما وصل إليه في علم الأفلاك فقال : " سيقى الإنسان جاهلاً حقيقة تركيب الشمس ومعرفة عناصرها . ، أما لأن بفضل المختبرات والمراسد وما تحويه من آلات ومعدات عرف الإنسان بعض الشيء عن النجوم والكواكب والعناصر التي تتألف منها ووقف على خصائصها وقاس حرارتها .

لقد ثبت للعلماء من دراساتهم للأجرام السماوية أنه مامن عنصر موجود في تركيب هذه الاجرام إلا وفي الأرض ما يقابله ، وأن الذرة بكهاربها وبروتوناتها وحركات هذه حول بعضها وحول الكهارب تشبه النظام الشمسى والنظم الشمسية الأخرى ، أى أن الكون الأعظم يتألف من أكوان أخرى متشابهة في التركيب والبناء ، وأن هناك تناسقاً ووحدة مادية كونية ، فالنجوم والجزر الكونية ، والشهب والنيازك والمذنبات وغيرها - كل هذه تتركب من العناصر الكيميائية التي نعرفها وأن هناك قوانين تسودها ونواميس تسيطر عليها وعلى حركاتها ، وأنه ما من شيء إلا يسير في دائرة من الأنظمة لا يتعداها ولا يشذ عنها ؛ ولكن على الرغم من هذا كله ومن وقوف الإنسان على بعض الحقائق عن الكون لا يزال هناك أبواب مغلقة يحتاج فتحها إلى تعمق وجهود متواصلة . ومن الغريب أن الإنسان كلما تقدم في البحث افتتحت أمامه أبواب جديدة من المعرفة وزاد اعتقاده بفضائه وإيماناً بأنه

لا يزال على عتبة اليقظة العقلية .

وهناك أسئلة لم يستطع أحد الإجابة عليها ؛ ويظهر أن أمام هذه الأسئلة صعوبات وعقبات لا يزال العلماء يجاهدون للتغلب عليها واقتحامها بما يكتشفونه من قوانين ونواميس ، وبما يخترعونه من آلات وأدوات . وقد يكون السؤال الآتى من أكثر الأسئلة التي شغلت الناس وعلماء الفلك على السواء . هل يوجد في الاجرام السماوية أو في بعضها حياة كحياتنا ؟ أم هل في الكون عوالم مسكونة غير الأرض ؟ وعلى الرغم من معرفة الإنسان كثيراً عن خصائص الكواكب والنجوم فإنه لم يستطع أن يصل في مسألة (سكنى الكواكب) إلى نتيجة قاطعة . ويعود السبب في ذلك إلى عوامل عديدة أهمها : عدم تمكن الإنسان من اختراع آلات يستطيع أن يعرف بواسطتها وجود حياة على الاجرام السماوية . فقد يكون في بعض الاجرام حياة ، وقد لا يكون ؛ وقد تكون الحياة عليها من نوع لا نعرف كنهه أو ندرك حقيقته . وبحسبنا الآن يدور حول الحياة على الكواكب التابعة للنظام الشمسى ؛ ونعنى بالحياة الحياة التي تماثل الحياة على سطح الأرض ولا شأن لنا بغيرها إن كان في الوجود أحياء أو حياة من طراز آخر . فالأرض كما لا يخفى هي بنت الشمس وهي أحد أفراد الأسرة الشمسية تدور حول أمها (الشمس) كما يدور أيضاً بقية شقيقاتها (السيارات) .

وهذه السيارات ، بما فيها الأرض ، انفصلت عن الشمس ثم كونت كل واحدة منها فلما تدور عليه . وقد مرت ملايين السنين قبل أن أصبحت الأرض في حالة صالحة لظهور الحياة عليها . ولا بد أن التطورات التي مرت عليها الأرض مرت (وتمر) على سيارات أخرى ، وقد أدت (وتودى) إلى نفس النتيجة على غيرها من الاجرام ، ولكن باستطاعة العلم من دراسة بعض السيارات أن يجزم بأن التطورات عليها لم تصل إلى درجة يصلح معها ظهور حياة أو أحياء .

فاذا أخذنا عطارد وهو أقرب السيارات إلى الشمس نجد أنه لا يحيط به جو وكذلك للبار بلوتو (وهو أبعد السيارات المعروفة عن الشمس) لا يحيط به جو . وهذان السياران صغيرا الجرم إلى درجة أن جاذبيتهما لا تستطيع أن تحتفظ بالذرات الهوائية التي تفلت وتخرج إلى حيث الجاذبية أقوى.

وينتج عن هذا عدم وجود أجواء على الاجرام الصغيرة .
أما المشتري وزحل فحول كل منهما غلاف جوى يمتد إلى
آلاف الأميال ؛ ويحدث هذا الغلاف ضغطاً عظيماً إلى درجة
أن الغازات لا تستطيع تحت تأثيره أن تبقى في حالة غازية بل
لا بد لها من أن تتميع .

ويرجع السبب في وجود هذا الغلاف الجوى حول
هذين الكوكبين وحول أورانوس ونبتون أيضاً إلى كبر
أجرامهما . فكلما كان جرم الكوكب كبيراً استطاع (بفضل
قوة جاذبيته) أن يحتفظ بالغازات حوله ومنعها من الانفلات .
وعلى ذكر أورانوس ونبتون نقول إن البرودة عليهما
أشد من البرودة على زحل والمشتري ، ويحتوى غلافهما الخارجى
على غاز المستنقعات أكثر مما يحتوى على غاز النشادر . ويعلم
العلماء ذلك بأن النشادر لا يبقى في حالة غازية في برودة
كالبرودة الموجودة على أورانوس ونبتون .

يتبين مما مر أنه لا يمكن أن تكون بيئة هذه الكواكب
السهلة صالحة لظهور الحياة عليها ، إذ كيف يمكن أن تكون صالحة
وبعضها خال من الهواء والبعض الآخر محاط بالأجواء التي
تمتد إلى آلاف الأميال محدثة من الضغط ما يستحيل معه
وجود أحياء أو حياة . بقى علينا أن نبحث عن الزهرة والمريخ
وهما الكوكبان اللذان نجد فيهما بيئة أصلح من غيرهما لظهور
الحياة أو لسكنى الأحياء على سطحهما . فالزهرة يحيط بها جو
ملى بالغيوم حتى يصعب رؤية سطحها من ورائه ؛ ولم يستطع
العلماء أن يتأكدوا من وجود أو كسجين أو بخار ماء ؛ ولكن
ثبت لديهم وجود ثاني أكسيد الكربون بكميات كبيرة تفوق
الكميات الموجودة في جو الأرض . وثبت للفلكيين من
دراسة هذا الكوكب أنه أصلح من غيره من حيث إمكان
ظهور حياة عليه ، فليس هناك من العوامل الطبيعية والجوية
ما يجعل معها الحياة عليه مستحيلة .

وأما المريخ فقد شغل الناس وشغل علماء الفلك أكثر
من أى جرم سماوى آخر ؛ واختلفت الأقوال فيه وفي خصائصه
ومميزاته ، وكثرت الحديث عن هذه الأقوال ، وراحت الصحف
والمجلات تكتب عنه كأنه مسكون ، وراحت تصف سكانه
وأحوال معيشتهم فقال بعضهم إن سكانه احتفروا ترعاً لرى
مزرعاتهم ، ترعاً هي في الاتقان غابة وفي البناء آية يعجز أهل

الأرض عن محاكاتها وعن الاتيان بمثلها ولو اجتمعوا لذلك
والمريخ أكبر من القمر وأصغر من الأرض ، تشرق
عليه الشمس كما تشرق على الأرض وتعطيه نوراً وحرارة .
ويقول السر روبرت بول : « إن صغر كوكب المريخ يزيد
صلاحته لأقامة الأحياء التي لها حركات مستقلة ؛ فنقل الأجسام
على سطح المريخ أقل من نقلها على الأرض ، حتى إذا أردت
الطيران مثلاً لم تجد فيه من الصعوبة ما تجد فوق سطح الأرض ،
وهو الذى يقول أيضاً : « والمريخ من حيث جرمه ليس فيه ما يمنع
كونه داراً للأحياء... » وعلل البعض الظواهر التي تحدث في فصل
الشتاء بأن بقعاً بيضاء تتكون على كل من قطبيه ثم تضيق هذه البقع
بالتدريج حينما يقرب فصل الصيف . وقال آخرون إن في المريخ
ماء ، وإن هذا الماء يتجمد ويصير ثلجاً عند القطبين . وهناك
من العلماء من ينفي هذه الأقوال ويقول إنها من وحي الخيال .

وليس في المريخ بحور واسعة كبحور الأرض ، فسطحه
بر لا بحره ، يتعاقب عليه الليل والنهار كما يتعاقبان على
الأرض ؛ ويومه أطول بقليل من يوم الأرض ، وله غلاف
من الهواء يحيط به ، ولكنه لطيف جداً بالنسبة إلى هواء
الأرض ، وهو يتركب من الأوكسجين وبخار الماء . ولا شك
أن كمية الأوكسجين الموجودة في جو المريخ أقل بكثير من
الكمية الموجودة في جو الأرض . وقد يتبادر إلى ذهن
القارئ أنه ما دام الأمر كذلك (أى قلة الأوكسجين) فلا
بحال لظهور الحياة عليه ، ولكننا نقابل ما تبادر إلى الذهن
بالقول أن الأحياء الأرضية وجدت الأوكسجين فاستخلصته
بالاتخاب الطبيعي لأنه أصلح من غيره لتوليد القوة باتحاده
مع الكربون ، أى أن الأحياء تهيئ نفسها للأحوال التي توجد
فيها ، وعلى هذا فلسنا في وضع نستطيع معه الجزم بأن كمية
معينة من الأوكسجين ، أو أن الأوكسجين ضرورى للحياة
لا غنى لها عنه ، فقد تكيف هذه الأحياء نفسها إلى الوضع
الذى توجد فيه ، وتستخدمه لما فيه نفعها واستمرار حياتها
ويقول الأستاذ (لول) وهو الذى درس المريخ أكثر
من غيره وإليه ترجع أكثر معلوماتنا عنه - يقول إن سكان
المريخ أرق من سكان الأرض ، ويستدل على ذلك بهندسة
الاقنية العجيبة (الموجودة على المريخ) ، ويجد في صنعها
المثير للإعجاب ما يؤيد رأيه وأقواله

وعلى فرض وجود أحياء على سطح المريخ فصغر جرمه وما ينتج عن ذلك من ضعف للجاذبية - كل هذا يقضى بأن تكون تلك الأحياء كبيرة الحجم بالنسبة إلى الأحياء الموجودة على سطح الأرض، كما أن كبر جرم الكوكب يقضى بوجود أحياء (إن كان ثمة حياة) صغيرة الجرم ...

وعلى العموم فالزهرة والمريخ أصلح الكواكب لسكنى الأحياء عليهما، وليس هناك من العوامل ما يمنع وجود حياة كحياتنا على سطحهما؛ وحالة الزهرة الآن هي الحالة التي كانت عليها الأرض قبل ملايين السنين، كما أن حالة الأرض بعد ملايين السنين ستكون مشابهة لحالة المريخ الآن؛ إذ يقل الأوكسجين وتقل الحرارة التي تأتيها من الشمس. وقد يكون هذا هو السبب في تعليل تفوق سكان المريخ (إن كان في المريخ حياة) على سكان الأرض؛ وقد يكون أيضاً هو السبب الذي دفع البعض إلى تعليل تقدم سكان المريخ في الحضارة ووسائل الرفاهية والمهارة في البناء والانشاء.

والآن ... وقد أنهينا الكلام عن الكواكب التابعة للنظام الشمسي نقول إن في الكون نجومًا وشموسًا لا عد لها، وهذه كواكبها وما يقيمها من مذنبات وشهب ونيازك. ولقد دلت المراسد على وجود ٧٥ مليوناً من العوالم التي تشبه عالمنا، وآلاف الملايين من النجوم. وكلما تقدم الإنسان دقة في آلات الرصد تجلى له اتساع الكون بصورة أوضح وأجلى، وثبت له أن ما كشفه من الكون إن هو إلا جزء ضئيل جداً مما لم يستطع اكتشافه بعد. فكون هذه حالته وهذا اتساعه لمن الطبيعي أن يكون فيه من الكواكب ما اجتاز (ويجتاز) الأدوار التي مرت (وتمر) على الأرض. ومن المحتمل جداً أن تكون بيئة بعض هذه الكواكب صالحة لسكنى أحياء أو ظهور حياة عليها وأخيراً إذا سئلت عن رأيي في مسألة الحياة على الكواكب لا كتفتت بالجواب الآتي:

ليس الغريب أن تكون بعض الأجرام السماوية مسكونة وعامرة بالأحياء، بل الغريب ألا تكون كذلك قدرى حافظ طوقان

سلسلة مكتبة المعلم

تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر لبسط الأساليب والاتجاهات الحديثة في التربية

مما لا غنى عنه لأي معلم يريد أن يتمشى مع روح العصر

يسرف على إصدارها : الأستاذ اسماعيل القباني

العدد الثاني

التربية على طريقة دالتن

وهي الطريقة التي تربي النشء على الاستقلال في الفكر والاعتماد على النفس والاضطلاع بالمسئوليات

وفي هذا الكتاب شرح مستفيض لأصولها النظرية ووصف واف لكيفية تطبيقها تطبيقاً عملياً

تقديم الأستاذ زكريا مجنايل

بقلم الأستاذ هيلين باركرهست

خريج معهد التربية

مبتكرة الطريقة

تطلب من اللجنة ٩ شارع الكرداسي بعابدين بمصر ومن المكاتب الشيرة

ثمان النسخة ١٠ قروش عدا اجرة البريد

الفلسفة الشرقية

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— V —

الدراسة المصرية — الحياة الأخرى

اعتقد المصريون منذ أقدم عصورهم بخلود الروح وبأن هناك حياة آخرة يجازى فيها المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته . والمنطق الذى استندوا إليه فى هذه العقيدة ، هو أن هذه الحياة الدنيا مزيج من الخيرات والشرو ، وأن المشاهد أن هذه الفترة القصيرة التى يعيشها الإنسان على الأرض ، ليست جديرة بتحقيق مكافآت الاختيار ، ولا عقوبات الأشرار . وإذن فالمطلق يقفنا أمام أمرين لا ثالث لهما ، وهما : إما أن تكون هناك حياة أخرى يوفى فيها الاختيار والأشرار جزاء أعمالهم فى دقة وعدالة ، وإما أن ينتهى كل شئ بمجرد انتهاء هذه الحياة . وفى هذه الحالة الأخيرة لا يتحقق تقدير الفضيلة والريضة ، ولا يمتاز الخير عن الشر بأية ميزة . وبذلك تنتفى عن الإله صفة العدالة ، ومتى انتفت عنه هذه الصفة لحقه النقص ، ومتى لحقه النقص فقد انهارت ألوهيته من أساسها ، وإذن فالحياة الأخرى من لوازم الألوهية نفسها

أما طريق معرفة الخير من الشرير فهى أن يؤتى بأعمال كل منهما الدنيوية المقيدة فى سجل أمين لم يدع منها كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها ، ثم يجلس المسئول أمام محكمة أوزيريس ، الذى نكتفى أن نسوق إليك فى وصفها نص ما كتبه الأستاذ بريستيد : « وتكون محكمة أوزيريس فى عقيدة القوم من اثنين وأربعين قاضياً يجلسون أمام المعبود كالزبانية يمثل كل منهم قسماً من أقسام مصر ، فإذا دخل المتوفى أمام المحكمة وأنكر أمام كل قاضٍ إنما من آثامه ، يوزن قلبه فى ميزان مقابل ريشة العدالة ، للتأكد من صدق قوله ، أما الآثام التى

تبتزأ منها الميت أمام محكمة أوزيريس فهى بعينها الآثام المستهجنة فى عهدنا هذا . وهاك بياناً موجزاً لتلك الآثام : السرقة ، والقتل ، والاختلاس (وبالأخص السلب) ، والكذب ، والخداع ، وشهادة الزور ، والرياء والتنازب باللقاب والتجسس ، وعدم الاعتدال فى الأمور الجنسية ، وامتهان كرامة المعبودات أو الأموات كالكفر بهم ، وسرقة أمتعة الموتى . ومن هذه القائمة يستدل على عظم الرادع النفسى عند المصريين وقتئذ استنكاراً للنكرات . وعليه فالمصريون هم أول قوم اعتقدوا رتب الحياة الآخروية على الحياة الدنيوية . ويرجع هذا الاعتقاد فى الحقيقة إلى المملكة القديمة . والغريب أن هذه العقيدة انحصرت فى المصريين أكثر من ألف سنة فى حين أن البابليين والاسرائيليين اعتقدوا أن انتقال الموتى عمراً إلى سقر المعرفة باسم « شول » واعتقد المصريون أن الأموات الذين تحكم عليهم محكمة أوزيريس بالأجرام يعرضون للجوع والعطش ويحجزون فى أماكن مظلمة لا يبصرون فيها ضوء الشمس . وفى المحكمة طريق أخرى للقصاص ، منها حيوان بشع له رأس تمساح ومقدم أسد ومؤخر دب البحر يفترس المجرمين الآثمين . وأخذت آراء القوم فى عهد المملكة الوسطى تحوم حول تطهير النفس من المعاصى والمظاهر التماساً للبراءة بعد الوفاة وتجنباً للعقاب الآليم ، فأصبحت ترى الكثير من نقوش شواهد القبور شديدة الشبه بما ألعنا إليه فى عهد المملكة القديمة ، وهى تلخص فى أن الميت يطعم الجوعان ويروى الظمآن ويكسو العريان وينقل فى سفينته من ليس له سفينة . وجاء على بعض الشواهد أن المتوفى كان أبا البقيم وزوج المرأة ومولجاً الذى لا مابجاً له مما أشرنا إليه حين تكلمنا على كرم وسخاء حكام الأقسام والشخص الذى تبرئه الحكمة أوزيريس تلقبه بالرجل الطاهر العادل أو صادق القول أو المتصر ،^(١)

فإذا فرغ « توت » - وهو الذى تصوره لنا الآثار حاملاً الميزان فى يده - من مهمته أمر بهذا المسئول فيساق إلى ذلك الصراط الخوف الذى مد فوق الجحيم والذى إذا اجتازه

(١) راجع صفحتي ١١٢ و ١١٣ من كتاب تاريخ مصر من أقدم عصورها للإستاذ بريستيد .

ليقبلها أوزيريس فيضمن أهل الميت هذا القبول لتوفاهم
الرحمة والغفران (١)

رأى بعض الباحثين الغربيين أن هذه العقائد الفرعونية
من : بعث وحشر ووزن وثواب وعقاب ونعيم ، بعضه مادي
وبعضه معنوي ، وعذاب يتفاوت بتفاوت درجات الآثام
والشرور ، وأن تلك الطقوس الوثنية من : غسل الميت
وتكفينه وتلقيه ودفنه ونحر الضحايا بمناسبة موته ، كل هذا
يوجد بحذافيره في بعض الديانات التي تدعى لنفسها السماوية
فرموا هذه الديانات الأخيرة باستقامتها عقائدها وطقوسها
من تلك الديانة الوثنية لامن عند الله كما تدعى

ولست أدري كيف يستسيغ أولئك الباحثون هذا المنطق
العجيب مع اعترافهم بالجهل التام للأصول الأولية في الديانة
المصرية ؛ وما المانع من أن يكون مصدر هذه الأصول
الجهولة لديهم هو : السماء ، وأن يكون التوثن والتعدد عارضين
لها بعد التأليه والتوحيد ؟ وفي هذه الحالة يكون من الطبيعي
أن تتفق مع الديانات السماوية في جميع العقائد والطقوس
التي لم ينلها التحريف ؛ ثم ما المانع كذلك من أن تكون تلك
الطقوس مستحدثة في الديانة المصرية لا يصعد مبدؤها على
سلم التاريخ إلا إلى العهود التي اختلط فيها المصريون بالساميين
واقترسوا منهم بعض طقوسهم الدينية ؟ هذه كلها احتمالات
جائزة الوقوع ، ولكن الذي لا شك فيه هو أن اتفاق ديانة
وثنية مع أخرى سماوية لا يقوم برهاناً على أخذ الثانية من
الأولى ، ولا يصح الاستناد إليه في الحيلولة بينها وبين مساويتها

الأمم

آمن المصريون — كما قدمنا — منذ عهود تقصر عن
إدراكها مجهودات التاريخ بأن لهذه الأكوام منشأ أو منشئين
خلقوها ونظموها وهم يتولون تصريف شؤونها بحكمة واقتدار
وعدالة وإنصاف . ولأمر ما ، اقتنع المصريون منذ أقدم
عصورهم بأن هؤلاء الآلهة المتصرفين في الأكوام اختاروا
في مبدأ الدنيا عرش مصر واتخذوه مقراً لهم يصدر من
فوقه أحكامهم وأوامرهم النافذة التي لا يجرؤ أي فرد من أفراد

الشخص نجا وارتقى إلى جوار الآلهة والفراعة الأبرار ، وإذا
هوى من فوقه سقط في وادٍ سحيق ممتلئ بالآفاعي والحيات
التي تتولى تعذيبه بقسوة حتى ينال قسطه من الجزاء

ومن الغريب أن المصريين مع إيمانهم بهذه العدالة الصارمة
في الحساب ووزن الأعمال كانوا يعتقدون أن تلاوة الرقي
والتعاويذ وكتابتها على تابوت الميت أو على حوائط قبره
تستطيع أن تنفذه أمام محكمة أوزيريس فتزبد في نعيمه
وتخفف من عذابه ، وهذا هو معنى قول المحدثين : « الرحمة
فوق العدل » . وقد كتبت هذه التعاويذ في كتاب « الموتى »
وكتاب توت الذي ألعنا إليه آنفاً .

عقائد وطقوس دينية

اعتقد المصريون — كما أسلفنا — بالبعث والحشر والحساب
على الأعمال والميزان والصراط والنعيم والجحيم ، وآمنوا كذلك
بأن هذا النعيم درجات ، أدناها المنع المادية ، وأعلاها الذهاب
إلى جوار الآلهة أو الصعود بوساطة السلم الإلهي من مملكة
الموتى إلى مملكة « رع » حيث يقم الصالحون والمقربون مقاماً
أبدياً لا مرض فيه ولا تعب ولا موت ولا فنا . واعتقدوا
أن في الجحيم كذلك درجات بعضها خفيف وبعضها قاس ،
وأن بها ثماين وحيات وتينات تتولى تعذيب الآثمين بقدر
ما يرسم لها إله الجحيم .

هذا كله في الآخرة ، أما في الدنيا فن طقوسهم الدينية أنه
إذا مات الميت يجب أن يغسل بالماء النقي وأن يكفن ويدفن
بعد أن يلقته الكاهن ما كانوا يسمونه بالرق المنجية التي تحميه
في القبر من الأرواح الشريرة وتكفل له في الآخرة رحمة الآلهة ،
وأن تكتب تعاويذه توت ، على تابوته وجدران قبره إن
كان من ذوى الحثيات كأن يكون ملكاً أو أميراً أو كاهناً
أو وزيراً أو موظفاً كبيراً أو أديباً أو طبيباً مثلاً ، أما إن
كان من أبناء الطبقات الدنيا ، فإن هذه التعاويذ تكتب على
كفنه أو في ورقة بردية تدفن معه .

ومن هذه الطقوس أيضاً تضحية الحيوانات على قبر المائت
ووضع بعض لحومها مع الخبز والماء والنفاكة والتبذ في
داخل القبر ، وأن يتولى تقديم هذه الضحايا أحد الكهنة ،

(١) راجع رسالتنا « الآثار الخفية لمصر القديمة » صفحات ٢٢٨ إلى ٢٤٤

« وكتاب القصص المصرية » صفحة ١٠

الوجود على التمرد عليها أو عدم الانصياع لها ؛ ثم عن هؤلاء الآلهة أن يغادروا عرش مصر الى عرش السماء ففعلوا ، ولكن بعد أن استخلفوا على هذا العرش العزيز أبناءهم وأحفادهم الفراعنة العظماء وزودوهم بكل ما يحتاجون إليه في حكمهم للبلاد وسياستهم للدولة وقيادتهم لجميع أنحاء النظم الاجتماعية والأخلاقية التي لا تسير بالبلاد إلا الى التقدم وال عمران ؛ وأن أولئك الآلهة سيلاحظون الحاكمين والمحكومين بعنايتهم ويكلؤونهم بعين رعايتهم ماداموا يقومون بواجباتهم نحو أولئك الآلهة المحسنين . وكان هذا القيام بالواجب يتلخص في الشعائر الدينية وفي الإتيان بالفضائل الأخلاقية ، وأولها الولاء للعرش والعدالة والصدق والأمانة والرحمة والإحسان وأشباهها ولا ريب أن هذه الأسطورة - على بطلانها - كانت أقوى العوامل وأهم الأسباب في رقي مصر العمراني ، وتماسكها الاجتماعي وجلالها السياسي ، وسموها الأخلاقي ، وأطراد تقدمها في العلم والأدب والفنون الجميلة والصناعات النافعة . ومن الطبيعي أن الأمة التي تعتقد أن نجاحها في الدنيا وفوزها في الآخرة مترتبان على الفضائل لا تألو جهداً في أن تكون أمة فاضلة خيرة ، وهذا هو الذي حدث بالفعل ، فقد انتشرت الفضائل في وادي النيل انتشاراً قوياً وعظم الخاصة والعامة معتقياً . وكافأهم الملوك على حسن سلوكهم بجلال النعم وأعظم المنح كما ضرب على الرذائل والشروع بأيد من حديد ، وأصبح أفراد هذه الأمة جميعهم يفخرون بالفضائل ويتبرأون من الرذائل لافرق في ذلك بين فرعون على جلاله وبين الفلاح الصغير أو العامل الحقير . وإليك شيئاً من نصوص تصوير هذا العصر الغابر ، ومقدار تمسكه بالفضائل وأثر ذلك التمسك في حياته : « واعتقد القوم أن الوصول إلى حقول الخيرات الآخروية يكون بالإهتمام بالشعائر الدينية والاعتناء بها ، وبتوالي الأيام اعتقد الناس أن النعم الآخروية يكافأ به من يحافظ على طهارة الذمة والشرف والأعمال الصالحة في الدنيا . من ذلك ماورد في مقبرة أحد أمراء الأسرة الخامسة مترجماً : « لقد شيدت مقبرتي بغاية العدل والحق فلا شيء فيها يستحقه غيري ، وأنا لم أؤذ أي شخص . » وماورد أيضاً من النقوش على جدر مقبرة لأحد أبناء تلك العصور مترجماً :

« أنا لم أعاقب قط في حياتي أمام رجال الحكومة ولم أسرق شيئاً من غيري ؛ بل فعلت كل ما يرضى غيري . » ولم تقتصر نقوش مقابر تلك العصور على إنكار السيئات ، بل شملت أيضاً فعل الخيرات كما ورد على جدار مقبرة وجيه في الأسرة الخامسة مترجماً : « كنت أقدم الخبز لفقراء إقليمي ، وأكسو عراني ، ولم أؤذ أحداً طمعاً في أملا كه حتى اشتكاني إلى معبود بلده ، ولم أسمح لأضعيف أن يخشى بأس قوتي فيظلم من ذلك للإله . » (١) وما ورد في موضع آخر تعزيزاً لما قدمناه مايلي : « ومنه يتضح أن القوم وقتئذ أخذوا يعتقدون بوجود محاكمة في الآخرة أمام (أوزيريس) وأن هذه العقيدة أحدثت تأثيراً أدبياً عظيماً في نفوس المصريين ، فإنهم وإن كانوا حقيقة منذ قديم الزمن ذوي ضمائر ونفوس رادعة إلا أنهم كانوا في احتياج إلى زجر قوتي كالوارد في عقيدة أوزيريس . لذلك نشاهد بين نقوش دهاليز أهرام أمراء الأسرتين : الخامسة والسادسة تحذير كل من يستولى على مقابرهم بأنه سيحكم على أفعاله أمام المعبود الكبير ، كما ورد في مقبرة أخرى مايشير إلى تجنب الكذب كلية رغبة في رضا المعبود وقت الحساب . كل هذه الحقائق وجدت مدونة بين أقدم نصوص الموتى المروقة الآن بمصر (٢) وما لا شك فيه أن اتصاف المصريين بالفضائل والخيرات يرجع إلى أوائل عهدهم بالنقل والتفكير . ونحن بهذه المناسبة لا نوافق الأستاذ بريستيد ، على قوله : إن الواجب الديني كان في أول أمره مقصوراً على الشعائر ثم تحول بعد ذلك إلى تناول الفضائل . فهذا القول غير صحيح البتة ، لأن المصريين لم يعرفوا الحياة يوماً واحداً بدون اعتناق الفضائل والأخلاق وإيمانهم بأنها أوامر الآلهة كانوا ينشرونها بين الناس إبان اتخاذهم عرش مصر مقراً . أي قبل صعودهم إلى السماء في الأزمان السحيقة . ولو كان قول بريستيد صحيحاً للزم أن يكون الآلهة قد شغلوا زماناً عن الأمر بالفضائل ولم يهتموا إلا بشعائهم الدينية ، وهذا منقوص لشئونهم ، حاط بعظمتهم مما لم يشعر به المصريون يوماً واحداً

(يتبع)

نحر غروب

(١) انظر صفحة ٤٣ من كتاب « تاريخ مصر من أقدم عصورها » د مازي بريستيد . (٢) راجع صفحتي ٤٣ و ٤٤ من الكتاب المذكور

دالت دولة الشعر

للأديب هلال أحمد شتا

تصاحب هذه الحقيقة المرة رأسى منذ زمن بعيد ، ويقوم
بني وبين نفسي من أجلها جدال عنيف ؛ فلا أنا قادر على أن
أقلتها لتجد لها مكاناً عند غيري ، ولا على أن أدعها تقض
مضجى وتلهب رأسى . . . وليس شك في أتى تركتها تؤرقني
طوال هذا الزمن ، فلم أفض بها إلى مثل هذه السطور ، خوفاً
على نفسي وإشفاقاً ورفقاً . . . فكلماً تمثل في خيالي وصح في
ذهني أن مئات من الناس يقفون على هذه الصناعة — صناعة
الشعر — ويخلصون لها ، ويؤمنون بها ، ترددت في الكتابة ،
ثم أحجمت . . .

على أتى — وقد آمنت بهذه الحقيقة منذ كان شوقي قائماً
بيننا يملأ الدنيا صدحا وتغريداً ، ومنذ كان غيره من نحول
الشعر لا يزالون في الميدان صوالين جوالين — أحسبني اليوم
قادراً على أن أبوح بما آمنت به ، بعد أن خلت عرائن الاسود
إلا من الأشبال ، وبعد أن تقدم بنا العصر بضع خطوات
كفيلة بأن تقضى على دولة الشعر أى قضاء . . .

ذلك أن الشعر لم يصبح مما يسبغه ذوق عصرنا هذا ، ولا
أصبح قادراً على أن ينهض على قدميه أو يواصل سيره في
سبيل البقاء . وسأحاول على هذه الصفحات أن أبسط ذلك
بعض البسط ، مترقياً في محاولتي عازفاً عن المبالغة . وفي
يقيني أنني سأخرج من هذه الكلمة الهادئة ، وإلى جانبي غير
قليل من القراء الكرام . . . فأما الشعراء والمؤمنون بهم ،
فلمست أخشى اليوم نقمتهم أو أشفق مما عساهم يفعلون .

ولقد يدرك القارىء أني لا أحاول أن أتقص من قدر
الشعر القديم أو أكفر برسالته ، فأنا عن مثل ذلك عزوف
عنيف . . . ولكن الذي أقول : هو أن رسالة الجمال والفن
في ذلك الشعر القديم ليست خالدة ولا باقية على الأيام ؛
وبحسب الشعراء الأقدمين أنهم قاموا على تأدية هذه الرسالة
في عصورهم وأزمانهم ، وأنهم صوروا بشعرهم صوراً بهرت

نفوس ذويهم وأقوامهم ومعاصريهم ؛ بل إن تقدير الزمن
قد امتد بآثارهم عصوراً أخرى غير تلك العصور . . . ولكن
تأجهم هذا لم يعد راوياً لظمأننا نحن إلى الجمال ، مصوراً في
صور تهز نفوس أبناء هذا العصر الحديث الناظرين إلى الحياة
بغير منظار السادة الأولين . . . وكل ما بقى لنا من آثار ذلك
السلف الكريم لا يعدو أن يكون ثروة لفظية ولغوية تقوم
منا اللسان وتبسط أمامنا سبيل الحديث المستقيم ، ولا يعدو
أن يكون موضوعاً لدراسات أدبية ، أو اجتماعية ، أو نفسية ،
يفيد منها التاريخ ، ويفيد منها رواد الأدب والباحثون في
حياة الجماعات الأولى . . . كيف كانت ، وكيف سارت بها
السنون نحو الرقي والكمال ، أو نحو التدهور والقعود

وهذه اللغة العربية التي جمعت على هيكلها شعرباً وقبائل في
شبه الجزيرة ، كانت في حاجة إلى الشعر وهي ما زالت طفلة
تحبو ، شأنها في ذلك شأن كل اللغات اليافعة القريبة المولد ؛
فالشعر يكاد أن يكون هو المظهر الأواحد للأدب أو الفن في
البيئات الأمية التي تتقطع فيها أسباب الكتابة والتدوين .
وكل جماعة من الجماعات الأمية محتاجة أشد الحاجة إلى وسيلة
تسجل بها خواطرها المشتركة ، وتعبّر عن مشاعرها ، وتحدث
بمفاخرها ؛ ولا بد من أن تكون هذه الوسيلة قادرة على
إذاعة رسالتها بين الأفراد ، وحتم على أن يتلقونها ؛ ولا
يستطيع كل ذلك إلا الشعر ، فإن اتزانته ، وتقفيته ، وموسيقاه ،
تسوقه إلى ذاكرة سامعيه من أيسر طريق وأقصد سبيل

ولا شك في أن علم الناس بالقراءة والكتابة — بعد ذلك —
يحمل عن كاهل الشعر بعض هذه الاعباء ، ويحد كذلك من
سلطانه شيئاً ، ويسلبه بعض نفوذه العريض ، ولكنه يوجهه
توجيهاً سامياً نحو الفن الرفيع ، وتلبس ألوان الجمال ، التي تختفي
في ثنايا الوجود ، وتتوارى وراء أغشية الجمود

على أن الشعر لا يمكن أن يكون متفرداً بهذا التوجيه
الجديد الذي دفعته إليه معرفة الناس القراءة والكتابة ،
لأن هذه المعرفة خلقت النثر الواسع الأجواء ، الذي يلعب
بسائر فنون القول ، والذي أصبح بعد قليل أقدر عليها من
الشعر وأقوى ساعداً . ولست بحاجة إلى أن أثبت قدرة النثر على
التعبير ، وتفوقه على الشعر في هذا السبيل . فذلك أمر بداهي ؛

ولن يجد الكاتب الذي يسجل خواطره، أو يترجم أحاسيسه، أو يعبر عما يختلج في ذهنه من المعاني - أفسح من النثر مجالاً، ولا أوسع ميداناً لقلبه الجوال. ولن يتقيد فيما يكتب بوزن يتحتم عليه أن يراعاه، ولا ببقافية تأخذ بخناق قلبه أخذاً وأخشى أن يتحدث المفتونون بالشعر - في هذا المجال -

عن روحانية الشعر، وسمو أجوائه، وروعة أخيلته، وفتنة موسيقاه، وما إلى ذلك مما يجيدون فيه الحديث؛ وألا يدركوا أن روحانية المعنى، وسمو الجور، وروعة الخيال، ليست قاصرة على الشعر ولا هي وقف عليه؛ فما أجل ما يكتب الناثرون أصحاب النفوس الشاعرة، وما أروع ما ينتجون.. وفي جنبات سطورهم المثورة تسفر الفتنة الخالدة التي تلعب بالمشاعر لعباً.. ولن يسيء إلى هذه الفتنة الرائعة أنها محاطة بجلال الصمت، وأنها عارية عن موسيقى الشعر التي لم تعد إليها بحاجة، فلقد كانت هذه الموسيقى تهز النفوس يوم كانت النفوس لا تزال على فطرتها طفلة رخوة؛ ولكنها اليوم لم تهز نفوساً تنصت كل يوم لموسيقى الأوتار.

لقد دار الزمن دورة قصيرة المدى، فإذا الشعر يصبح قاصراً عن أداء رسالة الفن والجمال، التي وجهه إليها علم الناس بالقراءة والكتابة؛ وليس عمر الشعر العربي الصحيح الذي أدى رسالته هذه فأحسن الأداء سوى لمحة خاطفة من عمر الزمان، فلقد وقف بعد ذلك حيناً فأطال الوقوف، ولم يخط إلى الأمام خطوة واحدة، بل إنه سار إلى الوراء خطوات وخطوات، ليصبح ترديداً معوجاً لما قال الأقدمون

ولقد ذهب الباحثون يتلصسون أسباب وقفته، ويخلفون المماذير، وراحوا يوغلون في مسالك من القول متشعبة لا تنتهي إلى مصير؛ يضرب الآكثرون منهم على وتر واحد هو وثر الخطوب السياسية التي هدت كاهل العرب والعربية والتي طوحت بآثارهم إلى مهاوى الفناء.. ومهما يكن في ذلك من الصديق أو سلامة المنطق، فإنه لا ينهض سيباً لوقفه الشعر العربي في أيامنا هذه التي شملت فيها موجة من الرقي في مناحي التفكير جميعاً، إلا ناحية الشعر.. والتي بلغ نثرنا فيها مكاناً فوق مكان الأولين

وفي يقيني أن وقفة الشعر هذه، وتحاذله، وسيره نحو الفناء، لا سبب له سوى أنه قد أدركته الكهولة، فلم يبق ثمة

أمل في شفائه من أهوال السنين التي تستشرى اليوم في عظامه وخلياه، والتي سوف تحيله أثراً وذكرياً. فليست عقولنا كهلة ولا مريضة، وإنما الشعر هو المريض المهيض؛ وما أجذبت منا القرائح ولا زابتنا خصوبة الخيال، وإنما الشعر هو الذي يضيق عما خلقت قرأتنا المصقولة بمعول التفكير الحديث، من آفاق واسعة ومدودة الأطراف. وهامم الأوربيون - وهم من تحدثت معجزات العصر بعقريتهم ونبوغهم في شتى جوانب التفكير، وسائر ضروب الفن الجميل - قد أدركوا منذ زمن بعيد قصور الشعر وضيق ذات نفسه، وتوجه شعراؤهم إلى ألوان من القصة والمسرحية وغيرهما. وها هو شعرهم أخذ سمتة نحو الهزيمة القاتلة والفناء الذريع.

ديلوج أن شعراءنا المحدثين قد آمنوا بهزيمة الشعر فيما بينهم وبين أنفسهم - ولومن حيث لا يشعرون - ويلوح كذلك أن جهود شوقي الأخيرة في سبيل المسرحية الشعرية كانت مظهراً من مظاهر هذا الايمان. ولنا لتلس أن النثر في نتاج العقاد عشرة أضعاف الشعر أو يزيد، وأن القصة وحدها والمقالة القصيرة هما قبلة جهود المازني جميعاً - وقد كان شاعراً -

وأحد الله على أن شعراءنا الشبان، أمثال: ناجي، والحفيف، وفتحى موسى، والطرابلسي، وغيرهم، قد وجهوا عنايتهم إلى القصة وما إليها من فنون الكتابة والبحث، قبل أن يبعث الشعر أيامهم الغر، وهي أعز علينا من أن تلقى في الهراء..

ولا حاجة بعد هذا إلى القول بأن دولة الشعر قد دالت، فذلك ما انتهت إليه، وما أظن القراء الامتنين إليه أيضاً.. وإذا كان الشعر قد استطاع أن يحافظ على بقائه طوال هذه السنين، وأن يمارك الزمن قتيلاً وكهلاً، فلن يستطيع البقاء في عصر الطباعة والصحافة، ولن يستطيع البقاء في عصر القصة - وقد سلبته ما تبقى له من بعض الفتنة والجمال.

ولكنني لن أنسى أن أقول إن نوعاً واحداً من الشعر لا يزال قادراً على البقاء، هو شعر الفناء، ليكمل جانباً من فن الموسيقى، كما يكمل أدب المسرحية فن التمثيل.

ويستطيع الشعراء بعد ذلك أن ينظموا لأنفسهم ما يشاءون، وأن يقرأوا لأنفسهم كذلك ما يشاءون.. فأما المجد الأدنى، وأما رسالة الجمال والفن، فليبحثوا عنهما من طريق غير هذه الطريق..

هلال أحمد شتا
بمجلس الفيحاء

مات كاتب البعث!

للأستاذ عبد المنعم خلاف

ما أدركت روحى موته لأول منعه لأنه يملؤها ويدفعها على
محور من قلبه ، ولا يزال شفق شمس على آفاقها يسحب ذبوله في
بطء ، ولذلك استطعت أن أتلقى منعه تلقى الخير بالموت العالم
بأنه شيء عادى يجب ألا تضع منه الأحياء بالشكوى والتفجع .
ثم أفقت دفعة واحدة مزججا على ضجة روحى وهى تنزى
من الألم وتلوى تحت هول الفجعة ... فجعة قلبى فى صاحب
حديثه ، الكاتب الأصم الذى كان يسمع من هناك ... ما وراء
الأبعاد والحدود ، ثم يحدث

ولجعة نفسى التى كانت تغسل كل أسبوع بمداده الأسود
المنير ... ولجعة قلبى العاجز فى صاحب القلم المعجز الذى كان
فى يده كصا سحرية يلعب بها تارة فيخايل ، بالسحاب الأحمر ،
و « حديث القمر » ويكتب بها على « أوراق الورد » ، ويضرب
بها على قسوة القلوب فتنبجس للساكنين ، ويسوق بها « تحت
راية القرآن » نحو هدف الشرق الإسلامى أجبالا جديدة هى
مدينة له لا ريب بمجزء كبير من الروح الذى يملؤها بفتنة المجد
وسحر العزة ومرارة الجدة ، وبهت تاريخ الأبوة ، والإيمان
بالشرق والعروبة والإسلام إيمانا يحمل عليه الفن الساحر والروح
القاهر الذى يستولى على القارئ ويتركه فى غمرة لا يضيئ منها إلا
وقد انتقل إليه سر الكاتب ، وسحر المکتوب .

وابتدأت جراح روحى تنسع وتستمدى وتغل حتى توجعت
واضطربت ورأب أصدقائى من أمرى شيء غريب ، وصاح الألم
ينادى القلم ليسعفه بالبسم فيشيع الراحل العظيم ويسعى فى جنازته
الروحية على صفحات (الرسالة) .

ولكن العاطفة إذا تارت وفارت وهاج هيجها شلت جميع
قوى العقل . وهأنذا أجلس ساعتين لا كتب الكلمة التى أخفف
بها عن نفسى فلا أستطيع ، مع أنى يمتلئ بميراث الرجل وشخصيته
وأدبه وحبه وأخباره .

واشهد أن جميع ما فى نفسى من الحزن يخفى حين أريد أن
أدفعه عنى فى أجساد وصور من كلمات ، وأن ما أريد أن أقوله
يروغ منى وتزيغ حواسى دون مكته فلا أراه ولا أدركه ...
والأمر بعد للصمت وإن أتلف ، وللدمع وإن أسعف .

وقد رت أن مناحة ستقام بمصر على كاتب البعث فانتظرت حتى
بكوا وكتبوا ، فقرأت بعض الكلمات ، وشربت بعض العبرات ..
ورأيت مكان قلبه خاليا فى (الرسالة) فراغنى وحائنى أن أعلام
الأدب الإسلامى التى كانت تخفق على نصاب من قلبه قد طويت
إلى يوم النشور ... وأن البيان الهدار الرجاف الجارف قد
غاض ... وأن القلب الذى كنا نسمع لفته بين السطور قد
تقطعت أوتاره ... وأن الحركة الدائبة المجاهدة الناصبة لغاية
الشرق الإسلامى والاعتزاز به والدفاع عن محاسنه وجلوة
آثاره والضمود بها أمام الزلزلة التى أصابت الشرقيين غداة صحو
على قصف القوة الغربية وفتنة مباهجها صمودا ترك كثيرا من
الشباب متأسكين ومؤمنين بأنفسهم وبلادهم وميراثهم على رغم ما أتى
به الغرب من تخانيث المدنية وزيف الحواس بها ... هذه الحركة
قد ركدت إلى الأبد فى وادى السكون ...

ثم قرأت قصة موته بقلم صديقه وأستاذنا صاحب الرسالة
فعمجت لذلك القلب الكبير الذى يأبى أن يموت إلا على نية عمل
عظيم للحياة . يريد أن يظهر ... لأنها وصيته إلى تلاميذ مدرسته
فلينفذوها قائما رغبة التاريخ حدث بها على لسان حى ميت

وهكذا تنتهى حياة المجاهد لا يموت فى فراشه إلا على نية
الجهاد ، لأن أشواق روحه وأوطارها دائما فى حياة الميدان .

وهكذا تسلم حياة الطهارة إلى تلك الخاتمة السعيدة بالنية العظيمة
كما تسلم حياة الأثم وخيانة الميراث الإنسانى والأجناد القومية إلى
أن يموت أحدهم وهو فى ضجة من شهوات النفس . ولكن هل
يستويان مثلا ؟ لا والنسب جعل الحياة واجبا حملناه غير مخيرين
ولا يستاء على كره منا ، وجعل الأرض ميدانا للكفاح ، لا وليمة
للنشهى ، وجعل من التاريخ كبرا لا ينى ينفى الخبث !

قصة حياة الرافعى العظيم هى قصة الكفاح بين أولئك الذين
أرادوا أن يجمعوا للشرق بين الحسينيين من الطريف النافع والنال
الحالد الثابت الذى لا يمكن أن يتغير بتغير العصور ، فإغفاله ضلال
فى الحاضر وعقوق للماضى وتضييع للمستقبل وإفناء للشخصية ؛
وبين أولئك الذين أرادوا على حد تعبيره أن يترجوا أمم الشرق
إلى أمم غربية برغم الدم والاستعداد وطبيعة المكان وروحى التاريخ .
وقد بدأ رحمه الله أن يأخذ مكانه فى صفوف الفريق الأول منذ
عهد الإمام محمد عبده ، ولذلك دعا له بهذه الدعوة التى تعتبر نبوءة
صادقة من الإمام قال له : « أقامك الله فى الأواخر مقام حسان
فى الأوائل »

ولم تخدعه عن غايته فتنة الشهرة وتلقى الجماهير بادعاء الإلحاد وزعم التجديد فبدل بالكلمة الكافرة والرأى الآثم ، بل فرض نفسه ونكره فرضاً . وكان ينسج على الأدب الصحفي الذي يسير فيه صعايلك الصحافة ، وراء الجماهير حتى أسلمهم الحال إلى أن يكونوا مقودين لقيادة كما يجب أن يكون وكما تمل عليهم مهمتهم

لقد حظى الراقى بشرف المبالغة من مؤيديه ومعارضيه ، شأن كل عظيم رآته الأرض ؛ غير أن حظاً من شهادات المقدورين لأدبه في حياته من أفرح حظوظ الأدباء . فقد ظفر بنبوءة الأستاذ الامام وتقدير الزعيم الأكبر سعد زغلول لبيانه الذي كانه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم ، وتلقب أمير البيان الأمير شكيب أرسلان له بحجة العرب وبأيقونة الأدب . وقول المغفور له أحد زكي باشا : لقد جعلت لنا شكيبير كلاً للانجليز شكيبير وهو جوكا للفرنسيين هو جوكا ، وجوته كلاً للآلمان جوته ، وإجماع الناس على أنه أوحى في فنه اللفظي وتوليد معانيه بما وراء حدود الكتاب والمثقفين ، مما سبب بثرة إلى درجة تعلو الشعر في موسيقاه وترجيعة . وأذكر أنه محرر مجلة الهلال كتب عنه كلمة : بمناسبة ظهور الطبعة الثانية من كتابه «المساكين» قال فيها مامعناه : وإن من يقرأ الراقى يؤمن بأن البلاغة حاسة سادسة ،

وقد سمعت منذ ثلاثة أشهر من أحد كبار من ألقى بعقلهم وتقديم ومن كانوا يسخطون على طريقة بيان الراقى قبل أن تهلوه (الرسالة) يقول : «إن الراقى يصل في بعض الأحيان إلى مرتبة الإعجاز . . . وأذكر أيضاً أنى قرأت في مجلة الزهراء التي كان يصدرها الأستاذ الكبير عبد الدين الخطيب منذ عشر سنوات أو تزيد أن أحد المعجبين به من أدباء المهجر كتب إليه يقول إن لولا «المجلة» الفرائية ، لكان أبلغ من كتب بالعربية في جميع عصورها . . . والذين لا يقدرون أدب الراقى هم الذين يقرءون للتسلية وترجية الفراغ لا للدرس ولا للتنيل ، المعاني ؛ لذلك كان يؤودهم ويجهدهم أن يتابعوا سمو عقله وأن يكثرُوا بما على موائده الدسمة . أما الذين كانوا يقرءونه للتابع بمعانيه الخارقة فكانوا لا يكتفون بقراءته مرة أو اثنتين أو أكثر إذا أحوج الأمر ، وهم الكاسبون لأنهم قرأوا وقراءة عريضة ، لا وقراءة مستطيلة ، ليس وراءها غناء وأذكر أنى قرأت خطرة من «خطرات نفس» للدكتور منصور فحى بك التي كان ينشرها في الامرام منذ ١٣ سنة يقرط «رسائل» الاحزان ، للراقى قال فيها ما معناه : «إنك كالموسيقى الألمانية فجر الذي كانت الحانة لا يفهمها البشر ، حتى قال الناس إنه

وما زال الراقى حجة من حجج الشرق والإسلام في قصر فقير من الأقلام المجاهدة الذائنة ؛ وقد أتى عليه زمن أو شك فيه أن يكون وحده آخذاً جهة في الميدان وجميع الكتاب في جهة مضادة ، وكان هذا في الزمن الذي أعقب الثورة المصرية سنة ١٩١٩ والذي طفت فيه على مصر موجة هدامة تطرفت حتى إلى أقدم مقدساتنا وهو القرآن الكريم ، ولم تنحسر هذه الموجة إلا بعد سنة ١٩٣٠ حيث تعرف الناس بفضل الجمعيات الدينية إلى أمجاد دينهم وتاريخهم . وقد أمد الراقى هذه الجمعيات ببيانه المترجم عن النزعات العربية الإسلامية في زمن كانوا أخرج ما يكونون فيه إلى مثله . ولم ينه عصر المقاومة بين الفريقين إلا وقد ظهرت في الميدان أقلام تبني وتترجم وتكشف عن المدخرات في ميراثنا وكان لها من قلم الراقى لواء وروح وموسيقى . . . ثم أعقب ذلك هذه الموجة الدينية العربية التي تغمر روح الشباب المصري وتدفعه إلى الثورة في سبيل تعميم التعليم الديني حتى في كليات الطب والهندسة ؛ ليس هذا نصراً عزيزاً للراقى وأمثاله ممن سلخوا ثلاثين عاماً وهم في شبه وحدة في الميدان ؟ أليست مقالته القريبة «قنبلة بالبارود لا بالماء المقطر» نشيد النصر وأهازيج الظفر بخصرم عتاة ؟ فليت شرى ماذا كان يريد بعد ذلك من حركة التطهير ؟

إن الراقى لينسأى إلى حيث لا يبلغه أحد حين يضع نشيداً دينياً أو وطنياً . ويخيل إلى أنه حين كان ينظم أناشيده يستجمع حاسته السادسة التي تموض بها من حاسة السمع ، ويجلس على جناحي الزمن : التاريخ والنيب ، ثم يضرب على أوتار القلوب بألحانه التي كان يسميها من ذكريات الأصوات والأنغام ، ومعانيه كانت لا تنزل إلا له وحده . وقرأ إن شئت برهاناً على ما نقول النشيد الذي وضعه لجمعيات الصبيان المسلمين ، أو نشيد سعد زغلول ، أو نشيد الوطن ، أو النشيد الوطني الذي وضعه أخيراً ، لترى هل يستطيع غيره أن يصل إلى ما وصل إليه هو من بيان واجبات الشاب ونجواه لمجده ودينه ووطنه

إن الراقى لم يكن كاتباً يكتب للفن وحده ، ولكنه كان صاحب رسالة وأهداف سار إليها منذ أن شب عن الطوق في دولة القلم وإن شعوره برسائله تلك استولى عليه في كل ما كتب حتى فيما كتب يعاجز به أدياء التجديد الذين كانوا يخوضون منه في ساحل ضحضاح ويضرب هو في عبابه وأعماقه ويخرج بالدرر اللتيات ، فهو لم ينس غايته فيما كتبه من أحاديث الحب والمراقص والسوامر

دمعة مألوفة من النجف على الرافعي

فقيد البيان الرفيع

للأستاذ حسين مروة

وفي سبيل الفصحى الكريمة لغة القرآن الكريم، وفي سبيل
البيان الرفيع اللهجة، العلى النعمة، التبيل المعنى والقصد
والإداء. وإتنا لنشعر بالآلم يشيع في أحشاء الصدر أن رزئت
دولة الأدب والبيان العربي هذه الرزية بفقد علم خفاق من
أعلامها لم يطل به عهد الجهاد في سبيلها، ونكسته يد القدر
قبل أن يؤدي رسالته العالية، وإن هي إلا الرسالة التي تنتظرها
الروح العربية الناشطة من عقال الخنوع والاستعباد، والنهضة
الاسلامية الطالعة اليوم من كل فج وواد؛ بل هي الرسالة التي
تتحرق الانسانية كلها شوقاً إلى سلسلها العذب وخرتها العلوية
الخالدة؛ فلقد كان الرافعي الراحل كيئناً أدياً شامخ السمك
رفعت يد العناية في هذا الجيل ليثبت فيه عقب الفصاحة العربية
التي أسنت في آنية الزمن حتى كادت تستحيل على أسلات
الأقلام الناشئة المتأدبة في هذا العصر ربحاً غريبة ماتكاد
تقبن فيها نفحة العروبة أو عذوبة الضاد، أو شمائل الأجداد.
ولقد كان الرافعي الراحل كذلك كلمة إسلامية جامعة تلخص
بالدعوة الصارمة الصارخة الصادقة إلى فضائل الإسلام في
زمن كادت تنقلص فيه عن هذه الأرض الواسعة ظلال
الفضيلة وخلائق الخير ومثل الانسانية العليا. ولقد كان - إلى
هذا - فكراً تدفق في مطارحه أشعة الحقائق الاسلامية،
وقلباً يطفح بفوضى الايمان بعبقريه هذا الدين الحنيف،
فكان من أجل هذا وذاك أنطق ناطق في التعبير عن
الاشراق الإلهي، الذي يطفو على وجه هذه الشريعة
السمحة الغراء في كل قضية من قضاياها التشريعية أو الروحية
العبادية الخالصة؛ وكان من أجل هذين أيضاً أروع بارع
في تفسير النبوة، على ما يريد الله منها في بعث الرسل إلى
الخلق وبث النبوات في الكون؛ وكان أقوم لسان في حكاية
فلسفة الاسلام، على وجهها الذي ينبغي أن ندين الله به.
هذا هو الرافعي في أدبه من الوجهه الروحية كما فهمته
في جملة ما قرأت له من كتب ومقالات؛ ولا سيما هذه
المقالات التي كان يكتبها للرسالة، في المناسبات الاسلامية
التي جرت (الرسالة) على الاعتداد بها، وعقد الفصول حولها،
وتخصيص بعض الأعداد لها؛ ولكن المصيبة في أمر الرجل
أن الجيل الناشئ يتجافى عن أدبه، وينقبض عنه انقباضه

إتنا - علم الله - لنشعر بالتياح حزاز في قرارة النفس
ان لم تؤآتنا الفرصة للجهر برأينا في أدب المغفور له الأستاذ
مصطفى صادق الرافعي إلا في هذه الساعة الرهيبة إذ تفجؤنا
أنباء وادي النيل بنعي الرجل راحلا إلى دار الله الباقية، ملقياً
عن نفسه هذا العبء الذي كانت تضطلع به في سبيل الله،

يطرب للبلائكة. ورجاء ان ينزل من مستواه قليلاً حتى يفهمه
الجمهور. وهو قد سبق يعترف للرافعي بالسمو وإن كان يأخذ عليه
غلوه فيه في بعض الأحيان. ولكن للرافعي عذره من قوة جناحيه
وقد كانا يحملانه إلى جوه الذي فيه سر عبقرياته.

ويخيل إلى أنه كان يكتب كما يتنفس. كما عبر واصف بلاغة
جعفر بن يحيى البرمكي: وأنه لم يكن يقصد إلى الإغراب وإنما هو
عفو الخاطر. على أن تلاحق السعي من قلبه في «الرسالة» قد خدمه
أجل خدمة، وبه استطاع أن يخترع ذلك اللون الجديد من أدب
البعث فيما يشبه القصة

حاولت أن أرتبه بكلمات شفاقة طائفة تليق بروحه وبيانه
فإنه لا يلبق به أن يرثي بهذا الكلام الجسماني. . . وحاولت أن
أصنع ربشاً يرفعني إلى السماء التي كان يأخذ من كواكبها نور قلبه،
فأعددت جو الذكري وأحرقته البخور واستجمعت اطراف اللوثة،
ولكن كثافة النفس وخفوت الطبع قعدا في فاجئزات بوصف عجزى. . .
سأقرأ في لباس التاريخ وروح الذكري بعد أن مات
وصار كلمة

وسأضع أذن على قبره دائماً لأسمع نداء قلبه بهذه «العقدة
الروحية» التي دعا إليها في مقالته «في وحى الروح». . .
وسأجعل من شعلة روحه شمعاً. . .
ومن وحى قلبه غاسولاً لحوبتي:
ومن أناشيده موسيقى همتي. . .

جعل الله ميراثه للخلود، وجهاده للنصر، وروحه إلى الجنة.

عبد المنعم مهران

«نزير بنده»

الهازل اللاهى السادر في هزله ولهوه ، إذا ما جتته بالامر الجدد ولوحت له بشأن من الحق . ولعل كثيرا من المؤمنين بعظمة الرافعى من هذه الناحية ما كانوا يستطيعون الجهر بايمانهم هذا خشية أن يرميهم جمهرة من الناس لها شأنها في هذا الجيل بهذه الرمية التي اتخذت سبيلا إلى غل الأفكار عن البوح بما تفكر فيه ، هذه هي ما يسمونها « الرجعية » كما اتخذ غير هذه الكلمة سبيلا إلى ذلك عند جمهرة أخرى من الناس لها شأنها كذلك ، تلك هي ما يسميها الجامدون « هرطقة » أو « كفرآ » ، أو « عصرية » ... ؛ والويل لنا من هاتين الفئتين ...

أما رأي في أدب الرافعى الذى فصل الموت بين عالمنا هذا وبينه في عالم الآخرة — أما رأي في أدب الرجل من الوجهة الفنية ، فهو رأى كوته لنفسى منذ بدأت « الرسالة » ، تنشر له أدبه ، وقد كان قبل ذلك يشرف على الناس من كوة ضيقة ؛ وكان يتلهى في الأدب تلهياً ، وكان يعث فيه عبثاً ؛ وكانت الفصاحة اللفظية كل همه فيما ينشئ من مقالات أو كتب أدبية ، وكانت الصناعة الظاهرة والزينة والبرج كل ما يطمح إليه . وقد كنت أرغب عنه يومئذ كما يرغب عنه اليوم كثير من ناشئة المتأدبين وقرآء الأدب ؛ وقد انقطعت عن قراءته من أجل ذلك زماناً ؛ ثم قامت في مصر مجلة « الرسالة » ، وأقبلنا عليها في كل دار من ديار العروبة ، وكانت لي رغبة حيثئذ في أن أجدد عهدي بالرافعى ، وقد جاءت هذه المجلة الجديدة به إلى حظيرتها فأقبلت عليه بعد موقف قصير ترددت فيه بين عقل مستطلع ونفس تطلب اللذة السهلة الميسورة ؛ وما طال عهدي معه في هذا الدور حتى أصلحت رأيي فيه ، وكونت لي هذا الرأى في أدبه من الوجهة الفنية ... هذا الرأى الذى قلت في مستهل الحديث أننى أشعر بالتباع حزاز في قرارة النفس أن لم أجهر به إلا في هذه الفرصة الالئمة إذ رحل الرجل إلى دار الخلود الحق

ورأى هذا في أدب الرافعى هو أن الفصاحة العربية الخالصة وإن كانت أولى مطامحه حين يجلس إلى كتابة المقالة ، ولكنه يأتى الإياه كله أن يضع جملته الفصيحة المشرفة قبل

أن ينحت لها المعنى الدقيق العالى . وأشهد أنه ينحت هذا المعنى من قلب الحياة أحياناً ، وقد يستأسره بلباقة من أرحب أجواء الخيال الشعرى الصافى ؛ فإذا امتلك عنانه وصار قيد قريحته الحصبة كساه هذه الأجنحة الطاووسية الأخاذة ، ونفحه بريح طيبة من نفس العروبة الشذى الأفيج . وإذا كان في بعض ما يقرأ له الناس ما يسمونه تعقيداً فليس هو — في رأيي — بتعقيد ؛ ولكن هذا الجهاد الفكرى الذى يلقى نفسه في غمراته كي يقتلع المعنى من قلب الحياة ، أو يستأسر الصورة الجميلة من جو الخيال الشعرى ، ثم هذا الترفع الذى يطلبه في الكسوة ، اللفظية ، وهذه البفحة العذبة التى يقصدها في مهاجها من الأدب العربى القديم ؛ كل هذه مجتمعة تعمل في إنتاجه هذا العمل الذى يخيل للقارىء البعيد عن روحه أنه تعقيد . ولو كان الصبر والجلد بما يسره الله لنا في طبيعتنا واستعملنا هذا الصبر والجلد في مرافقة الرافعى قليلاً لأنست به أذواقنا الفنية وأرواحنا ، ولأفدنا من فصاحته العالية الشيء الثمين العالى ؛ ولكن مصيبة الرجل في هذا الجيل كما قلت لك هي مصيبة الجاد بالهازل ، فصيحة من يطلب الحق بمن لا يطلب إلا موارد اللهو الميسور الرخيص . ومن الحق أن نقول — آخر الأمر — إن مسألة ما يحمل الرجل من ثقافة أبناء الجيل الحاضر هي الأخرى من جملة العوامل على ضيعته فيهم ، وذهابه عن دنياهم قبل أن يقيدوا من رسالته ما هم في أشد الحاجة إليه . ولعل هذا الجهد العظيم الذى يبجده حين يكتب فيخيل لقراءه أنه يقصد إلى التعقيد — لعل هذا يرجع إلى قله بضاعته من الثقافة الحديثة . ولعل من آثار هذا الأمر ما نرى من عنايته في إخراج الجمل قوية دون أن يعنى ، أو دون أن يستطيع العناية ، بوحدة المقالة وجعل الموضوع وحدة كاملة متناسكة .

وبعد فإن الرافعى الراحل هو — في عقيدتي — ببيان أدبى شامخ ينهار قبل أن يصل إلى أهدافه السامية . رحمه الله رحمة واسعة ، وعوض الأدب العربى خير العوض عن هذه الخسارة الجسيمة .



رسالة الشباب في الحاضر

مهداة إلى الشباب المصري المتوثب
للاستاذ خليل هندواوى

ينفذ إلى نفوسهم ، أو سكوناً يطفى على حركتهم ، بل لاني أصبحت أخشى أن تصرفهم لذة التديم عن لذة البناء ، لأن لذة الشباب وهواه في الطفرة والتطرف ... ولكن لا أريد أن يقوم هذا البناء إلا على سواعد الشباب مهما ثباته الأهواء ومهما داخله فساد ... لأنني أريد أن يلم الشباب بالبناء وأن يلوا بأمر عظيم ماتلق عليهم تبعاته ، وبهذا نعيد لشبابنا حاسة العمل التي عطلتها التقاليد وأثره الشيوخ . ويقتني أن الشباب لا يهدأ فضاله ولا يصرفه عن عمله كل أو فشل أو كيف يزيد ان نجرم الشباب لذة العمل في هذا الانقلاب وهم كانوا يده المتصرقة وقلبه الذي ينزف دماً !

لعل الشباب يزعمون أنهم قد انتهى عملهم بعد أن انتهى الفوز لهم ؛ ولعل الشباب يقولون : لنسترح الآن فقد تم جهادنا ؛ ولعل الشباب يظنون أن العهد الذي جاهدوا فيه في سبيل الحرية قد انقضى . على أن عملهم الحقيقي قد (بدأ الآن) لأنهم هم الذين خلقوا العهد الجديد وهم الذين ينبغي أن يكونوا دعاة .

يا شبابنا ، ومصايحنا في طريقنا لم ينته حملكم وإنما عملكم ابتداء الآن ، لأن العبودية السياسية التي تحررتم منها لا يزال خلفها عبوديات مختلفة ليست بأقل خطراً منها . ومن ذا يعمل على التحرر من هذه العبوديات إلا الذين لا يعرفون الوهن في العزم ولا التردد في الأقدام ، وهم الشباب !

أنقذتم أنفسنا من العبودية السياسية فأنقذونا من العبودية الروحية التي أورثت أرواحنا الذل وأورثتنا مع الذل الضعف والجبن حتى أصبحنا إذا طلبنا حقنا طلبناه سائلين .

أنقذوا نفوسنا من العبودية العقلية التي غادرت تفكيرنا رياء ، وتظاهرنا بالتقاليد رياء . وهل كان الرياء إلا ثوباً من أثواب العجز ؟ وهل كانت العبودية العقلية إلا شر من العبودية السياسية ؟

أنقذوا نفوسنا من عبودية الألقاب القارعة ، والتقاليد البالية ، التي تشهد بها على حقارة أنفسنا بأنفسنا . وكونوا مثال

يسرنا جداً أن تعلن الرسالة ، في جملة رسالاتها رسالة الشباب ، وتقوم بها في جيل عرف قيمة الشباب وعظمة مقامه في حياة أصبحت دعائمها ترتكز عليه ، وهو الجيل الذي قضى على أثره الشيوخ وترددتم ، وأثبت لهم أن الأمة في استطاعة شبابها أن يمشوا بها إلى المورد العذب ، والغاية المثلى ؛ وفي تنظيم فئات الشباب في كل أمة واعتماد الدولة على هذه الفئات المنظمة آية بل آيات لمن كفر بمعجزة الشباب .

وقد كانت رسالة الشباب — قبل انجاز المعاهدات سواء في مصر وسورية والعراق — رسالة تيقظ وتدمير ، وخلق للفوضى ؛ لأن الفوضى وحدها — في عصر الجرد — تحرك الذرات الواقعة ، وتخلق الوعي والشعور في الأنفس الهامدة . ويظهر أن رسالة الشباب بدأت — في هذه الأصقاع واجدة ، ويظهر أنها سائرة إلى هدفها على طريق واحد ... بدأت برسالة التهديم ، والتهديم وسيلة لا غاية ، وذريعة إلى بناء جديد ، ولا يقوم هذا البناء إلا على كواهل من خربوا وهدموا للتقديم وحاربوا الذل والقيد وإن مما يستوقف المفكر أن يفكر في رسالة البناء ؛ والبناء صفة أدق من التهديم ، لأنها تحتاج إلى دقة ونظام واستقامة في العمل . والهندسة قبل البناء ، توفر كثيراً من العناء ، فما هي رسالة البناء ؟ وما هي حدود هذه لرسالة التي يجب أن يقوم بها الشباب ؟

أصبحت لا أخاف على شبابنا بعد أن عرفوا التطرف ؛ وكيف يبلغ القمة من لم يتطرف أو أصبحت لا أخشى خوراً

العزة والكرامة التي لا تكرم إلا الكرامة .

هنالك عبوديات كثيرة تقف في طريقكم، وعقبات كثيرة تريد وقف سيركم المبارك، ومن لها إلا الشباب ؟ إلا الذين يسعون إلى الحرية لتقتلهم الحرية، وبقتلها إياهم يعتززون وينتصرون . ومن لها إلا الشباب الذين يرى فيهم الجامدون خطراً على المجتمع لأنهم متطرفون متهورون يجمع بهم طموحهم كثيراً . فأى شيء يخاف هؤلاء الجامدون من خطر يريد أن يقلب مجتمعاً تراكم الفساد فيه على الفساد ؟ أى شيء يخاف هؤلاء البالون من تهور على طريق الحرية وحدها ؟ أى شيء يخاف هؤلاء الجبناء من طموح يريد أن يصعد ويصعد ؟

ها قد جاء عهدكم أيها الشباب ! العهد الذي يعطيكم الحرية ويفتح لكم آفاق الأمل فيما تحلون ! وهذا العهد ليس بالخفيف عهده، ومتى كان عهد التحرر خفيفاً ؟ هذا عهد تريد فيه أمة أن تخلق

هذا عهد تريد فيه أمجاد قديمة أن تزحف

هذا عهد تريد فيه كبرياء شعب أن تتيقظ !

هذا عهد تريد فيه حضارة ساهمت في الحضارة الانسانية أن تسطح منارتها وأن تتم رسالتها !

ومن لهذا العهد إلا الشباب الذين لا يقولون : القناعة كنز لا يفنى ، لأنهم لا يعرفون القناعة . . . إلا الشباب الذين لا يقولون ما يقول ذوو النفوس الحقيمة : كلب جوال خير من أسد رابض ، لأنهم يعلمون أن روح الأسد لا تترب عنها أرواح الكلاب مجتمعة . والريوة التي يحمها أسد رابض لا يقدر على حمايتها الف كلب جوال . . . وهو بعد ذلك أسد لا يربض ، لأن الأسد لا يعرف الربوض

... إلا الشباب الذين يقولون ما قال أبو حمزة الخارجي عند ما عبره أهل مكة بأصحابه : « تعبروني بأصحابي » تزعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب رسول الله إلا شباباً !

هذا العهد ينادي إليه الأرواح الجبارة لترافقه ولا ينادي جشناً خالية من الاحساس يحملها على ظهره . لأنه يريد رفاقاً يحسون ويلتهبون ، قد ادرعوا الارادة وساروا يقتحمون كل شيء كالسيل الجارف ، يشون فوق القمم وثباً ولا يزحفون زحفاً ، في نفوسهم عقيدة تفيض حماسة وقوة ، يفرضونها فرضاً على الزمان ولا يجد الزمان إلى اخفائها سيلاً .

هؤلاء الرفاق يستطيعون أن يمشوا معه لا تثنيهم عقبة ولا يحول بينهم وبين بغيتهم حائل . ومن هم هؤلاء الرفاق الأشداء إلا الشباب ؟ روح الأمة ولون وردها الأحمر المشتعل ، وعزيمتها التي لا تكل .

تحررت أيها الشباب من العبودية السياسية ، فلتحرروا من كل عبودية . وليكن هدفكم التحرر في كل شيء . وكره العبودية في كل شيء .

شباب قنع لا خير فيهم وبورك في الشباب الطامحين
• در الزور • هليل هنراوى

سيدى الأستاذ رئيس تحرير مجلة الرسالة الغراء

أقرأ باهتمام فصلكم الذي عقدتموه للشباب تدعونه فيه إلى الاهتمام بالأمور العامة . ويسرنى أن أوجه إليكم هذه الكلمة لغرضين : الغرض الأول أن أبين أن شبابنا يستطيع أن يؤدي للبلاد خدمة جليلة بأن يتنشر في أثناء العطلة الصيفية وهى على وشك الحلول فيذهب كل شاب إلى قريته أو منزله في المدينة ويضع نصب عينيه أن يترك الدائرة التي هو فيها في آخر الصيف خيراً مما وجدها في أوله . ويمكنه أن يعمل في أحد المقاصد الآتية :

- (١) تعليم أهل الجهة القراءة والكتابة والأخلاق ومبادئ التربية الوطنية في قسم ليلي يفكر هو وجماعة من إخوانه على إنشائه ويختارون له محلاً يتبرع به أحدهم ممن يستطيع ذلك
- (٢) توجيه أهل جهته إلى العناية بالرياضة البدنية والاشتراك معهم في ذلك السيل اشتراكاً فعلياً
- (٣) التعاون مع إخوانه على عمل محلة كمحلة الرواد تكون مركزاً لثقافة الصيادين الفقراء وهدايتهم وإدخال الفرح عليهم
- (٤) إرشاد أهل جهته إرشاداً صحياً في محاضرات يقوم بالفائها من يستطيع المحاضرة من الشباب .

الغرض الثاني أن أقترح عقد اجتماع تشرف بمجلة الرسالة على الدعوة إليه قبل بدء فصل الاجازات الصيفية لتنظيم حركة الزحف الاجتماعى . وتفضلوا بقبول عظيم شكرى وتقديرى لمجهودكم النبيل (مصرى)

(الرسالة) جاءتنا رسائل الشباب في هذا الباب تترى ، وكلها آراء سديدة ومقترحات قيمة سنشرها أو نلخصها تباعاً في الاعداد القادمة .



ان حُفنت برقم ٦٠٦ وأصبح عليها الصباح حتى كانت تسير مرفوعة الرأس تقوق وتنخطر ناعمة بالصحة والحياة . فذه نتيجة لاشك مجيدة . ولكن ما الذي كان من أمر نسيه المكروب الآخر مكروب الداء الانساني النميم ؟

في اليوم الحادى والثلاثين من أغسطس عام ١٩٠٩ وقف إرليش وهاتا أمام قفص به أرنب ذكر جميل سليم من أية وجهة نظره ، إلاصفه (١) ، فقد كان شروحه قرحان فظيعةا كلاتهما أكبر من ربع الريال سيبيها ديب هذا المكروب اللعين الذى يأتى الانسان جزاء الخطيئة الكبرى (٢) . وكان هاتا وضع هذا المكروب تحت جلد هذا الأرنب من شهر مضى . ووضع هاتا قطرة صغيرة من ماء هاتين القرصتين الكريهتين تحت مكربسكوب صنع خصيصاً لرؤية أمثال هذه المكروبات الخبيثة الرفيعة الشاحبة . وضعها ونظر فرأى فى ظلام المجال لهذا المكربسكوب الخاص ، رأى تلك المكروبات ألواناً تتلألأ فى شعاع نور قوى سلط من الجانب عمدا عليها . وترامت له كأنها ألوف من خرامات الحدادين ومثاقيب النجارين تطير فى المجال راحة غادية . منظر جميل يستوقفك الساعات ، ولكنه مروع ، فأى المكروبات يحمر على البشر من البلاء والويلات ما تجر هذه ؟

ومال هاتا عن المكربسكوب بمنة لينال إرليش من هذا المنظر نظرة . فلما رآه نظر إلى هاتا ، ثم نظر إلى الأرنب ثم قال : : دونك فاحقنه ، وجرت الحقنة فى وريد أذن الأرنب ، ودخل المركب ٦٠٦ فى محلوله الأصفر إلى دم

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى بك

مدير مصلحة الكيمياء

وزادت أوامر إرليش وكبر مقدارها ، وتزايدت السجائر الحامية التى عكف على تدخينها يوماً فيوماً . وما لبث أن دخلت طوائف كبيرة من الأرباب الذكور بيت جورج اسباير (١) كأنها ألوية الجيش تتابعاً وكثرة ، ودخل فى زمرتها إلى هذا البيت رجل صغير قصير يابانى صياد مكروب لا يألو فى بحثه جهداً . وكان اسمه هاتا . وكان قديراً وكان دقيقاً . وكان له جلد واسع وصبر على التجريب طويلاً ، فهو يحتمل التجربة الواحدة بعينها عشر مرات ولا يكل . وكان خفيف الحركة جسم النشاط متزنه ، فهو يقوم بمشرب تجارب فى آن واحد . فوافق هوى إرليش ، وهو كما تعلم دقيق يحب كل دقيق

فبدأ هاتا يحرب مركب رقم ٦٠٦ ، لا على مكروب الزهرى نفسه . بل على مكروب من نوعه ولكن أقل منه امتقاعاً فى اللون وشرة فى الأثر ، ذلك اسبيروشيته الدجاج وكانت تقتل الدجاج قتلاً . فإذا كانت نتيجة هذه التجارب العديدة الطويلة ؟ صاح إرليش : : باهرة ! ... خارقة ! ... لا تكاد تصدق ! . فذه الدجاجات الكبيرة والأفراخ الصغيرة امتلأت دماؤها بهذا المكروب امتلاء ، فها هى إلا

(١) كيس الحية

(٢) الزنا

(١) محل إرليش وقد تقدم

الأرب يلقى مكروب الزهرى ويقاظه لأول مرة في تاريخ هذه الدنيا .

وفي الغد لم يبق في صفن الأرب من لوالب هذا المكروب لولة واحدة . والفرحان ؟ سبق اليهما الجفاف وأخذت جلبه (١) تكون عليهما . ولم يكدهمضى على هذا شهران حتى لم يبق من الجلبه غير جلبه صغيرة . شفاء هو السحر أو كشفاء المسيح بن مريم . واستطاع إرليش أن يكتب بعد ذلك بقليل :

« ويتضح من هذه التجارب أن هذا المكروب يفنى عن آخره تواتراً إذا حقن الحيوان حقنة كبيرة كافية .

وإذن جاء يومه الكبير المنظور ! فهذه رصاصته المسحورة ، فما أسرع قتلها للمكروب ! وهي مع هذا سليمة مأمونة على الحيوان . وإن شككت في سلامتها . فانظر إلى هذا العدد العديد من الأرب البارئة ، فهل نالها متقال ذرة من سوء لما ضرب هاتاً محتمنه في آذانها بجرعة هذا الداء ، برغم أنها جرعة كبيرة كانت ثلاثة أضعاف الجرعة اللازمة الكافية لمحور الداء محواً محققاً سريعاً ؟ لقد نال إرليش بهذا الكشف فوق بغيته ، وأطلق من هذا المحقق على الداء رصاصه أروع من رصاصته . وضحك بـحاث ألمانيا بالأمس من أحلامه ، فجاء دوره اليوم في الضحك فضحك وسع فيه . صاح إرليش : « إنها رصاصه مأمونة . إنها سم للداء ، وللحي في البره والشفاء ، وتستطيع أن تصور أى الأطياف كانت تطوف بخيال هذا الرجل المستوثق بنفسه استثنافاً لا يقصر منه حد . وصاح في وجه كل أحد : « إنها مأمونة ! إنها سليمة ! ، ولكن في ليته ولياليه جلس في مكتبه وقد تعباً جره بدخان السجائر حتى ضاقت به الأنفاس ؛ جلس بين أكوام الكتب وركام المجلات وقد ارتمت ظلها حوله متراكبة غريبة ؛ جلس وحده وبين يديه تلك الكراسيات الزرقاء الخضراء البرتقالية الصفراء التي كان ينقش عليها كل ليلة في انبهاً كل ما يخطر بباله مما سيصدره إلى رجاله وعباده من الأوامر في الصباح

الطالع . ففي هذه الحجرة خلا إرليش لنفسه فسأها في خفوت : « أحقاً أنها سليمة مأمونة ؟ »

إن الزرنبيخ سم محبب إلى السهامين ... ١٩ قال إرليش محتجاً : « ولكننا تناولنا طبيعته بالعجب العجيب فقيرناها ، وهذا الذى شفا الفران والأرب قد يقتل الرجال . ١٥٠٠ قال إرليش مجيباً : « إن النقلة من الأرب والفران ثقلة خطيرة ، ولكنها خطوة لا بد منها ،

وطوى الليل رداءه الأسود ، وانبلج الصباح وبعث شعاعه الأبيض إلى المعمل ينشر فيه مع النور الأمل والثقة والأقدام . ودخله إرليش فنظر فوجد الأرب التى برئت ، ولقى عوناً برتهايم ، هذا الرجل الساحر الذى لوى الزرنبيخ الفانك سم لواء ستاً وستائة مرة حتى عاد حربه سلاماً . وتشتم إرليش فسطعت في أنفه رائحات مائة غلطات طيات لمائة من حيوانات تجريبية ، ورائحات ألب مختلطات طيات لألف من مواد كيميائية ، وتلفت إرليش يمنة ويسرة فوجد كل هذا الجمع من أعوانه رجالاً ونساء يؤمن به ويثق فيه . إذن فما التشكك وما التردد ؟ وهيا أيها الأعوان إلى هذه الخطوة الأخيرة نخطوها ولو خطيرة فقد والله خاب من أحجم

كان إرليش في قراءة نفسه مقامراً ، ومن من كبار صادة المكروب لم يكن مقامراً ١٩

وقبل أن يزول تفرح صفن الأرب بتمامه ، وقبل أن تسقط عنه أخيرة جلباته (١) ، كتب إرليش إلى صديقه الدكتور كندرا ألت Konrad alt يقول : « فهل لك أن تسكرم فتجرب هذا المركب الجديد رقم ٦٠٦ في مرضى الزهرى من بنى الإنسان ؟ »

فأجابه الدكتور ألت : « بالطبع نعم . » وأى المانى لا يجيب بهذا وهم قوم غلب صعاب ؟

وجاءت سنة ١٩١٠ فكانت سنة إرليش الكبرى . ففي يوم من أيام هذه السنة انعقد المؤتمر العلمى في مدينة كونيجسبرج Konigsberg

(١) القشرة التى تملأ الجرح عند البره .

(١) الجلبة القشرة التى تملأ الجرح عند البره . وقد مررت

وأى مصل وأى لقاح مما ابتدعه المحدثون من صادة المكروب يبلغ ما بلغه هذا المركب في قتل الجراثيم ، أو يقارب في الفتك بها بعض ما فعلته هذه الرصاصة المسخورة الساحرة من القضاء عليها قضاء كأنه تنزل من السماء ؟

وهتف الناس لإرليش هتافاً لم ينتفوه لأحد . وهتفوا له هتافاً لم يستحقه استحقاقه أحد . دع عنك ما أثاره في الناس من قبل من آمال كواذب ، وتناس ما تلا ذلك من متاعب ومصاعب ، واذكر الساعة أنه بكشفه هذا مشى بجماعة البحوث في طريق جديد لفتح مجيد .

تقول علوم الجوامد : لكل فعل رد فعل يساويه ويذهب في ضد اتجاهه . وما يصدق في عالم الجوامد يصدق في عالم الأحياء ، وهو يصدق في حياة الرجال من أمثال إيرليش . فاكاد يشيع في الناس ما جرى ، حتى تجاوزت أرجاء المعمورة تصرخ في طلب هذا الدواء : في طلب المركب رقم ٦٠٦ . فهكذا أسماء إيرليش اسماً ضخماً يملأ السمع ويهز الحساب فلتنفجر له طلب الضخامة وحب الفخامة . فقام برتنام ومساعدوه العشرة في بيت إسباير يصنعون مئات الألوف من جرعات هذه المادة البديعة ، ولم يقعدم أنهم كانوا متعبين منهوكين من طول ماكدوا وجهدوا . وقاموا في هذا البيت الصغير بصناعة مقادير لا ينهض بها إلا المصنع الكبير . وصنعوها في جو مخطر مليء بالآثير . وصنعوها في خشية من زلة قليلة تحدث في التركيب فتقضى على العدد الكثير الوفير من الرجال والنساء . فالسلفرسان ^(١) Salvarsan سيف له حدان : حد لقتل الجراثيم ، وحد لقتل الانسان . وإرليش ، فاكاد الذي كان من أمره ؟ أصبح جلدة على عظمة ، وزاده داء السكر سوء . ولم ينقطع عن شرب سجاثره الكبيرة وليته لم يفعل . فهذا ما كان من أمره : بالأمس أحرق شمعة من طرفها ، واليوم هو حارقها من وسطها أيضاً

أحمد زكي

(يتبع)

فلما دخله إيرليش دوى المكان بالتصفيق الشديد وزاد وحشي حتى خيل أن الناس أصابهم الحش ، وطال حتى خيل أن إيرليش لن يفرم فيلق في القوم مقاتله . وقام أخيراً لحكي لهم كيف تمهدت السبيل بعد لأى إلى وجدان الرصاصة المسخورة ، ووصف لهم داء الزهري اللعين ، وقص لهم قصة الرجال الذين انتهى بهم المآل إلى تشوه قطيع ثم موت قبيح ، أو انتهى بهم الحال إلى ماهو شر من هذا - إلى مستشفى المجاذيب . لم ينفعهم الزئبق ، الزئبق الذي أطعموه والزئبق الذي دلكوا به والزئبق الذي حَقَنوه حتى كادت أسنانهم أن تسقط من لثام . حكى لهم حكاية هؤلاء المناحيس وقد انقطع الرجاء منهم ، ثم ما هي إلا أن دخلت فيهم إبرة المحقن واندفع فيهم محلول رقم ٦٠٦ وانتشر في دمه حتى نهض المريض وانتصب الراقد . وزادوا في الوزن ثلاثين رطلاً وتطهروا من نجسهم فلن يتحاشاهم الأصدقاء

وقص عليهم قصة رجل جاءه الشفاء كالمعجزة جاء بها بعض الأنبياء : قصة رجل منكود قرض المكروب بعلومه قرضاً وأكل منه أكلًا حتى لم يعد مدخلا صالحاً للطعام فأطعموه بأنبوبة أطعمة سائلة كي تجرى فيها . ومرت به أشهر على هذه الحال . ثم ما هي إلا حقنة واحدة من مركب رقم ٦٠٦ حقنها في الساعة الثانية بعد الظهر حتى استطاع في العشاء أن يأكل ويورد سِنَّد تشاية ^(١) من السجؤ . . ولم تكن الحال قاصرة على الرجال ، فن النساء المساكين زوجات بريات أصابهن الداء من أزواج ولغوا في الخطيئة . فن هؤلاء امرأة ألحت عليها الآلام ، وبلغت منها العظام ، ولازمتها سنين لم تنم لياليها بعض النوم إلا بالمرفين . فهذه عولجت بحقنة واحدة من هذا الدواء فنامت في ليلة ذلك اليوم نوماً هاتئاً عميقاً من غير مرفين . معجزة والله وأى معجزة أوى عقار وأى عشب وأى وصفة وصفها المعجائز والكنايس وأطباء الدهور منذ الأزل بلغت من الشفاء ما بلغه هذا الدواء .

(١) اسم هذا الدواء أي مركب ٦٠٦

Sandwich (1)



ميكلانجلو

العبقريّة الملهمة

MICHELANGELO

للدكتور أحمد موسى

ولعل أهم ما يجب معرفته مبدئياً هي ميزاته الفنية ، والطابع الذي طبع به إنتاجه . أما ميزاته ، فقد يمكن فهمها عند ما يشاهد ما تركه من تراث مجيد ، فعندئذ نرى أنه كان سامي الخيال باحثاً وراء المثل العليا في خلقه ؛ وأما طابعه فهو يتلخص في أنه استطاع أن يخلق لنفسه عالماً فنياً خاصاً ، جال فيه ثم ارتفع حتى أصبح مضرب الأمثال في الجمع بين سمو الخيال وجمال الاقتباس ، وبين القوة والعنف ، هذا إلى جانب روعة الانشاء التي كانت له دون غيره .

وموضع الدهشة والحيرة في خلق هذا الفنان العبقري أنك عند ما تشاهد إنتاجه لا تستطيع أن تتصور أنه مستمد من الواقع الملوس أو مشابه له ؛ بل ترى دون شك أن هذا الإنتاج يعبر عن المثل الأعلى في الجمال ، ولكنه مع هذا مليء بكل مظاهر الحياة لا ينقصه شيء منها إلا النبض . كانت الغاية عن ميكلانجلو أن يظهر الجسم البشري إظهاراً جليلاً سامياً ، مليئاً بالقوة نابضاً بالحياة ، وهو في هذا المجال أول وأعظم فنان أنجب الدهر في المدرسة الحديثة دون منازع .

وقد وصل في المعرفة بأصول علم التشريح إلى درجة لا مثيل لها مطلقاً ، وهذه المعرفة تتضح عند ما نشاهد ما غلب على إنتاجه من مظاهر الحركة بمختلف أوضاعها .

وإذا قارنا خلقه بتراث الإغريق الخالد ؛ وجدنا الفارق يتلخص في عنف ميكلانجلو في الإخراج ، لأنه تخير المواقف التي تكاد تكون مستحيلة ، كما فضل مواقف الضغط والاضطرار راغباً من وراء ذلك في إظهار جمال التكوين الجسماني الإنساني طامحاً وراء البناء المرقلي (نسبة إلى هرقلس) ، فكان

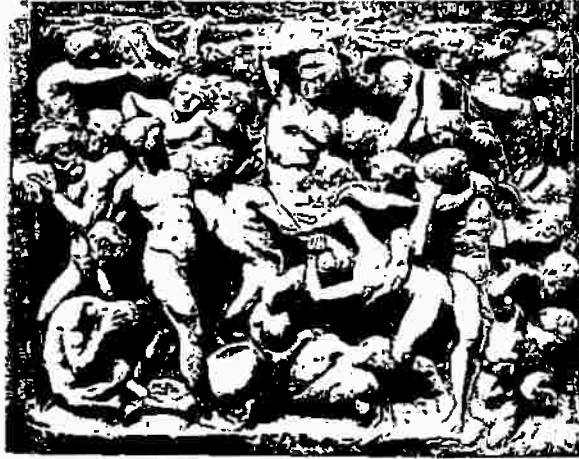
عرفنا من المقال السابق كيف بدأ القرن السادس عشر بشخصية الرجل الكامل ليناردو دافينشي ، وكيف كانت الرغبة أكيدة في إحياء علوم الإغريق وفنونهم ، وعلينا مدى أثرهما على ليوناردو .

واليوم نعالج عبقريّة ملهمة ، وشخصية فذة . اعتبرت ولا تزال معتبرة من أبرز شخصيات الفن إطلاقاً ، ألا وهي شخصية ميكلانجلو ، النحات القدير ، بل قائد النحت الحديث ، والمعماري العظيم ، والمصور الهائل .

وكم كنت أود أن أدرس مختلف نواحيه الفنية . لولا أن هذا قد يذهب بنا إلى تفاصيل قد لا تؤدي إلى ما نرى إليه من تزويد القارئ بمعرفة شيء مبسط عن الفن وعن تاريخه ، بقصد السمو بدوقه ، وفتح ناحية من الاستمتاع النظري أمامه ، لا تقل روعة عن نواحي الاستمتاع النفساني الأخرى ؛ بل قد تزيد أهمية ، نظراً لقلة ثقافتنا الفنية بوجه عام .

هذا يرغمني على أن أحاول الجمع بين غايتين مختلفتين : الأولى الاقتضاب حتى لا يمل القارئ ، والثانية الإيضاح الصادق حتى يعلم أهم ما يجب معرفته عن شخصية من أبرز شخصيات الفن إطلاقاً .

مدة طويلة حتى لاحظ لورنسودى مديتشى استعداد ميكيلانجلو للنحت ؛ فأخذه ليقام في بيته على النحات برتالدو ، الذي كان تلميذاً لدوناتيello المعتبر من أحسن نحّات عصره



مذبحه كنائس

وأول منحوتاته قطعة (نصف بارزة) أسماها : المادونا جالسة إلى جوار السلم ، ش - ١ - ، وبالنظر إليها نرى الكيفية التي تمكن بها ، وهو حديث عهد بالنحت ، من صيغ ما نحت به بشيء كثير من الحياة ، يتضح من تأملنا نبل وجه العذراء ، وكثرة الشبايا التي تخلكت ملابسها ، إلى جانب القوة التي بدت في نحت الأيدي . كذلك من الطريقة التي جلست بها العذراء على ذلك المقعد الرخامي الواطئ ، والمنهج الذي سار عليه في إخراج الملابس ، ثم جلسة الطفل في حجر أمه ، والأطفال الصغار الذين يلهون على السلم

وقطعته الثانية نصف بارزة أسماها : مذبحه كنائس ، وهي تمثيل لقصة أغريقية خرافية ، أبطالها مخلوقات نصفها الأعلى كإنسان والأسفل كحصان ، ش - ٢ - وهي من أهم الأدلة على اتجاه الفنان إلى الأغريق وتأثره بهم . أنظر إلى القطعة نظرة شاملة ، وتأمل كيف استطاع إظهار كل من الأجسام في حالة حركة مملوءة بالحياة ، تناسبت كل التناسب مع موضوع القطعة من الناحية الإنشائية ، فترى العضلات بارزة ، مع اختلاف التكوين الكلي وملامح الوجه لكل منهم ، فضلاً عما تعبر عنه بعض هذه الأجسام

بما ملك من القوة ، فذاً في الإخراج ، عظيماً في الوضع ، إماماً لكل فنان طامح ، ملك الجمال بمعناه الفلسفي ، وبعد كل البعد عن الجمان المثير ، فكان نقياً في اختيار موضوعاته لا يهتم فيها إلا بالعظام .

كان بشخصه يقوم بنحت تماثيله الرخامية من أبسط شيء فيها إلى أكبر وأهم جانب منها ، سائراً في ذلك تبعاً لرسومه الخطية التي كان يرسمها لتكون بمثابة المنهج الدراسي قبل البدء في النحت .

ولد ميكيلانجلو يوم ٦ مارس سنة ١٤٧٥ في كابريزه ، وتلقى أول دروسه في التصوير . منذ سنة ١٤٨٨ عند المصور المعروف دومينيكو جيرلانداجو الذي كان بارزاً في فلورنسا في ذلك الحين .



المادونا جالسة إلى جوار السلم

ولكنه بجانب درسه للتصوير ، عرج كثيراً على دراسة النحت الأغريقي ، ووجد فيه الغاية . وكانت التماثيل الموجودة بمديشة مديتشى في سان ماركو خير مدرسة له . ولم تنقص

والوجوه من المقاومة والتخفف ، على حين يعبر البعض الآخر عن الاستسلام أو الخوف . أما التفاصيل التشريحية فهي في غاية الكمال ، فالثنايا والعضلات والانحناءات كلها على غاية الدقة



يوحنا الصبي

المديتشي قد انتصر عليه . وفي بولونا نحت تماثالا من الرخام لملك ، بقصد التحلية لمقبرة دومونيكوس ، وكذلك تماثال يوحنا الصبي حاملا لقرص شمع العسل ش - ٣ - بمتحف برلين ، وإذا نظرنا إلى هذا التمثال فالتنا نرى عليه مسحة البراءة ، إلى جانب جمال التكوين العام وسياحة الوجه . أنظر إلى العنق والذراعين والساقين والقدمين ، ثم قارن بين التكوين الكلي لهذا التمثال وبين ماسبق أن شاهدته بالقطعة الفائقة واجتهد أن تتعرف بعض الفوارق .

أحمد موسى

(له بنية)

الى كل كاتب عربي في مصر وفي غير مصر :

المباريات القصصية لمجلة (الرواية)

تشجيعاً للقصص العربي تفتتح (الرواية) مبارياتها السنوية في هذه المباراة :

مباراة في الأقصوصة

جائزتها خمسة عشر جنيا مصريا
يوزعها المحكون على الفائزين الأول والثاني

الشروط

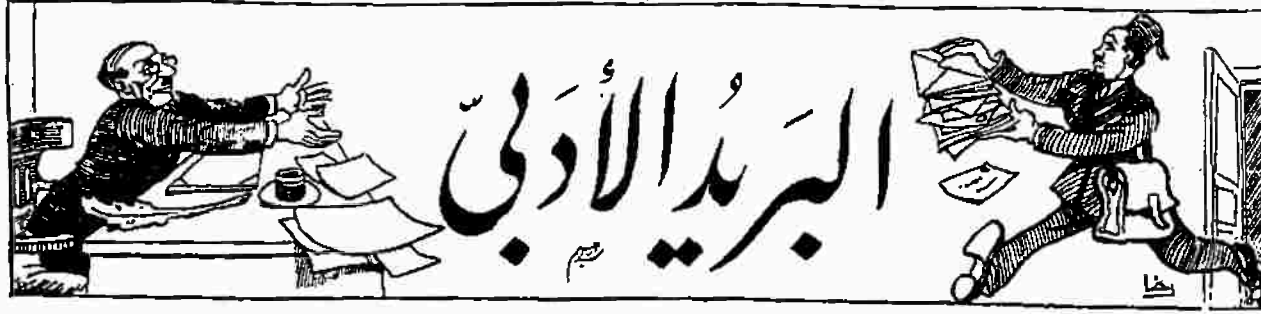
- ١ - أن تكون الأقصوصة شرقية الموضوع
- ٢ - بلغة الأسلوب
- ٣ - نيلة الغرض
- ٤ - ألا تزيد على عشر صفحات من مجلة (الرواية)
- ٥ - ألا تكون الأقصوصة قد نشرت من قبل
- ٦ - ألا يتأخر موعد إرسالها إلى إدارة (الرواية) عن آخر يونية سنة ١٩٣٧

لجنة التحكيم سنعلن عنها فيما بعد

تأمل الرجل العجوز الواقف إلى أقصى اليسار وهو يحمل حجراً بيديه ، يريد الإلقاء به على أحد المفضوب عليهم ، ثم قارن بين مظهره الكلي وشكله التكويني ، وبين وجوه الواقفين إلى أقصى اليمين ، فأنك تلاحظ اختلاف التعبير في ملامح الوجوه ، لأن حالة الدفاع وما ترسمه على ملامح الوجه تخالف حالة الاعتداء

تأمل الأذرع والأيدي وكيفية انثنائها وامتدادها وانقباضها ، وسر بنظر خلال أجزاء هذه القطعة الفنية التي شملت أكثر من عشرين رأساً ، لا ترى منها واحدة شابهت الأخرى ، وفكر قليلا واذكر أن ميكيلانجلو بدأ المرحلة الأولى من حياته الفنية بهذه القطعة

فر هاربا إلى بولونا عند ما علم أن الحزب المعارض لبيت



الاضطراب في نظم التعليم

لا تزال برامجنا التعليمية بعيدة عن الاستقرار ، فهي منذ أكثر من عشرة أعوام في اضطراب دائم ؛ وفي كل عام توضع مناهج وخطط جديدة ، ثم لا يكاد يبدأ في تنفيذها حتى تطرأ عليها تغييرات جديدة ؛ وهذا الاضطراب لا يشمل المناهج التفصيلية فقط ، ولكنه يشمل أيضا مدد الدراسة وأنواع التعليم وغاياته واتجاهاته ، وقد أصاب هذا التردد سير التعليم في الأعوام الأخيرة بأضرار ظاهرة ، ولوحظ أن مستوى التعليم في هذه الفترة قد ضعف ، وأن مستوى الثقافة بين الشباب في انحلال ، هذا فضلا عن قصورهم الظاهر في مجاراة الحياة العملية . والآن تعيد وزارة المعارف نفس العملية التي تكررها في كل عام ، وتضع للتعليم مناهج وخططا جديدة متينة ، فإلى متى يستمر هذا التردد الخطير ؟ لقد عاجلت وزارة المعارف والجامعة المصرية في الأعوام الأخيرة هذا المشكل غير مفر ، واستقدمت الحكومة المصرية خيرين شهيدين في مسائل التربية هما الأستاذان مان وكلاباريد ، ووضعوا تقريرهما المعروف ، فلم يعاون على حل المسألة . وفي كل عام تعرض آراء واقتراحات جديدة . ومن الأسف أن وزارة المعارف لم تضع لها حتى اليوم سياسة عامة مستقرة للتعليم والتربية ، وفي كل تغيير وزاري جديد نراها تتجه وجهة جديدة ، وفي هذا على مستقبل التعليم ما فيه من الخطر ؛ ذلك أن التعليم يجب أن يتخذ وجهة قوية ثابتة ، وأن توضع الأسس المستقرة لسياسته العامة ، وأن تترك التفاصيل وخدوها عرضة للتغيير والتبديل . ومصر اليوم في مفترق الطرق بالنسبة لمستقبل التعليم والثقافة فعلى وزارة المعارف أن تعجل بوضع الخطط

من آثار التشكيك

ظهر أخيراً كتاب ديني عنوانه « المصاحف » ، قام على نشره المستشرق المعروف الدكتور إيرثر جفري الأستاذ بالمعهد الشرقي بالجامعة الأمريكية . وكتاب المصاحف هذا هو الكتاب الذي ألفه عبد الله بن داود السجستاني ، وهو من آثار التشكيك التي أنكرها العالم الإسلامي منذ صدورها ؛ وهو يقوم في الواقع على فكرة التشكيك في القرآن الكريم على ما جمعه الخليفة عثمان ، وفي أنه وقع بالكتاب الكريم كثير من الحذف والزيادة في مواطن كثيرة بنوه بها مؤلفه ويورد عليها أمثلة عديدة . بيد أن علماء القرآن والمتكلمين المسلمين لم يحفلوا بهذه المزاعم ، فبقى كتاب المصاحف مطمورا في أقبية بعض المكاتب العامة والخاصة حتى فكر المعهد الشرقي بجامعة « منشن » (ميونيخ) أن يقوم بنشره ؛ ونشره الأستاذ جفري عن نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق ، ومهد له بمقدمة طويلة بها كثير من المغامز التي تؤيد غايته من نشر الكتاب . والمعروف أن المعهد الشرقي في جامعة منشن يهتم منذ أعوام بدراسة القرآن ولهجات القراءات المختلفة ، وأنه أوفد إلى مصر بعض أعضائه ليدرس هذا الموضوع في مواطنه المختلفة ، ولكن يلوح لنا أن هذه العناية تنحرف عن غايتها العلمية بنشر مثل هذا الأثر الذي أنكره العالم الإسلامي

معرضه باريس

افتتح معرض باريس للصناعات والفنون في الموعد الذي حدد لافتتاحه وهو ٢٤ مايو الجاري . بيد أن معظم

الأقسام مازالت في طور الانشاء ولم يكتمل بناؤها وإعدادها . وقد اشتركت في المعرض اثنان وأربعون دولة منها مصر ، وأنفقت مصر في سبيل هذا الاشتراك عشرين ألف جنيه . ومعرض باريس هو بلا ريب أعظم وأحدث المعارض الصناعية والفنية ؛ وهو بذاته مدينة عظيمة أقيمت على ضفاف السين في ساحة التروكاديرو ، وخطت فيها شوارع كبيرة ، وأقيمت طائفة كبيرة من البنايات الضخمة والمسارح والملاهي المتعددة من شرقية وغربية . ويقدر الخبراء أن زوار المعرض في مدة الافتتاح وهي تمتد إلى نوفمبر القادم قد يبلغون عشرين مليوناً ؛ ولكن الظاهر أن هذا التفاؤل مبالغ فيه فالحكومة الفرنسية لم تقدم لزوار المعرض أية تسهيلات خاصة ، ولم تقرر أى تخفيض في أجور السفر لا في البر ولا في البحر سوى ما تمنحه مصلحة السياحة كل عام من تخفيض ٥٠ ٪ على خطوط السكك الحديدية ، وهي مسألة لا جديد فيها . وقد ارتفعت تكاليف المعيشة في باريس إلى حدود مروعة ، وزادت الأثمان زيادة تفوق كل ما يستطيع الزائر أن يفيد من تخفيض سعر الفرنك . وسياسة فرنسا إزاء المعرض تخالف السياسة الدولية المتبعة في مثل هذه الظروف لأن الحكومات المختلفة اعتادت أن تمنح أثناء إقامة هذه المعارض تسهيلات عظيمة للزوار خصوصاً في أجور السفر في البر والبحر

هذا وسيفتح القسم المصرى بمعرض باريس في ١٦ يونيه . وستتولى افتتاحه جلالة الملك فاروق الذى سيكون في باريس في هذه الفترة

بعثة علمية كبيرة إلى القطب

طارت في الأسرع الماضى من موسكو بعثة علمية روسية إلى القطب الشمالى تألف من ٤٢ عالماً برئاسة العلامة الأستاذ أوتوشميت ؛ وقد وصلت إلى القطب بالفعل وطارت فوقه ونزلت سالمة على جبل من الثلج يقع على بعد عشرين كيلومتراً من القطب ؛ وسيبقى أربعة أعضاء من البعثة برئاسة العلامة

شميت عاماً في هذا الجبل الثلجى يقومون بالمباحث العلمية اللازمة حتى يبدأ ذوبان الثلج . وقد نظمت المواصلات اللاسلكية بين طيارة البعثة ومركز اللاسلكى في جزيرة رودلف التى اتخذت مركزاً لقيام البعثة وتموينها ، وهى تبعد بالطيارة عن القطب نحو سبع ساعات . وستقيم البعثة لها منزلاً من المطاط وتقوم الطيارات بإمدادها بالمؤن والملابس ، وذلك بواسطة إلقائها من الجو بالمظلات . وستعنى البعثة خلال إقامتها ببحث عوامل المغنطة في القطب وحركة الثلوج وأعماق المياه في تلك الأنحاء ، والبحث عن تيارات الهواء الدافئ على مقربة من القطب . والأستاذ شميت رئيس البعثة علامة مشهور في المسائل القطبية ، وقد كان في الأعوام الأخيرة خير معوان على إرتيادها وكشف مجاهلها . والمظنون أن المعلومات التى تجمعها البعثة قد تفيد فائدة عظيمة في تسهيل إنشاء المواصلات الجوية بين روسيا وأمريكا عن طريق القطب الشمالى ؛ بيد أن غاية موسكو الجوهرية من تجهيز هذه البعثات هو على ما يظهر تمهيد الوسائل اللازمة لاستعمار الأنحاء القطبية بصورة عملية ، والعمل على استثمار ثروتها الدفينة بتذليل العقبات الجوية والإقليمية ؛ وقد بذل العلماء الروس في العهد الأخير في هذا السبيل جهوداً تدعو إلى الإعجاب

المبرد أقبراً

أحب أن أقول (لأحد القراء) الكرام : أن المسألة ليست مسألة روايات ، ولكن الأمر في التمييز بينها ، والوقوف على مرماها في إفادة المطلوب ، وهذا الضبط الذى ذكره ابن خلكان إنما جاء على ما هو شائع في ألسنة الناس ، وهذه الرواية المذكورة عن برد الخيار مقصود بها إلى النكتة والفكاهة ؛ وما ذكره ابن عبدربه قائم على الحدس والحسبان لأنه يقول : فأحسبه ... الخ ، ورواية ابن الخطيب في تاريخ بغداد إنما جاءت في مقام الزراية على الرجل .

ولقد قلت للأديب الفاضل من قبل إن المبرد بالفتح

يوهاش Julins Juhasz قد توفي في نحو الرابعة والخمسين من عمره ؛ وكان مولده في مدينة شيجيد سنة ١٨٨٣ ، وتلقى تربيته في جامعة بودابست ، وظهر منذ الحداثة بحسن نظمه ، يد أنه مال في أول أمره إلى النظم القوي العنيف ثم تدرج بعد ذلك إلى النظم الرقيق الهادي ، وظهرت أول مجموعاته الشعرية في سنة ١٩٠٧ ثم تلاها مجموعة أخرى اسمها قصائد جديدة ، في سنة ١٩١٤ ، وظهرت له بعد ذلك دواوين أخرى منها : « هذا دمي » ، « لا تنسني » ، « وصيتي » ، وغيرها وقد فقدت المجر منذ أشهر قلائل شاعراً كبيراً آخر هو ديزو كشتولدني الذي توفي في نوفمبر الماضي وبذلك فقدت المجر أعظم شاعرين من شعرائها المعاصرين الذين جمعوا بين العهدين القديم ، وهو عهد الإمبراطورية ، والحديث وهو عهد ما بعد الحرب

خطأ شائع في ألسنة الناس حتى في الألسنة المثقفة ، وأصل اللقب في وضعه كان بالكسر ثم فتحه الكوفيون ؛ قد يكون استهزاء بالرجل أو قد يكون لأنه كتب كتاب الروضة بارداً كما روى ابن عبد ربه وابن الخطيب ؛ وعلى كل حال فليس من المرومة أن تمسك على الرجل هذا اللين ، وليس من الصواب أن تنصرف عن الخير إلى الشر . ولقد كان يكفيني ويكفي الأديب الفاضل قول الرجل نفسه : يرد الله من يردني ، فإن الرجل أدرى بحقيقة لقبه من أي كاتب آخر .

هذا ولا يحتاج علينا الأستاذ بقرب عصر ابن عبد ربه وابن الخطيب لأن ما رواه ياقوت هو عن المازني ، والمازني معاصر للبرد وألصق به ، كما أن ياقوت هو سيد الكتاب وعمدتهم في تحقيق الاعلام ، وليس ثمة من يجاريه في هذه الحيلة ، والله نسأل أن يوفقنا للصواب ، وأرجو أن يكون في هذه ما يقنع الأستاذ

محمد فرهمي عبد اللطيف

ديوان حافظ ابراهيم

أخرجت وزارة المعارف العمومية الجزء الأول من ديوان حافظ في ٣١٨ صفحة من القطع المتوسط مشتملاً على المدائح والتهاني والاهاجي والاخوانيات والوصف والخزيات والغزل والاجتماعيات . وقد ضبطه وصححه وشرحه ورتبه الاساتذة احمد امين ، واحمد الزين ، و ابراهيم الاياري . وصدره الاستاذ احمد امين بمقدمة جلية متممة في ٤٣ صفحة تناول فيها حياة حافظ وشعره بالتحليل البصير والنقد الكاشف والحكم الموفق . وإخراج الديوان على هذا الوضع المحكم ، والطبع الجميل ، والتصحيح البالغ ، يدلنا على الادب الحديث للاساتذة الاجلاء ولوزارة المعارف . والديوان مطبوع في دار الكتب المصرية وهو يباع فيها

وفاء شاعر مجرى كبير

في الانباء الاخيرة أن شاعر المجر الكبير يوليوس

ذخائر العقبي

في مناقب ذوى القري (للطبرى)

يطلب من مكتبة القدسي باب الخلق

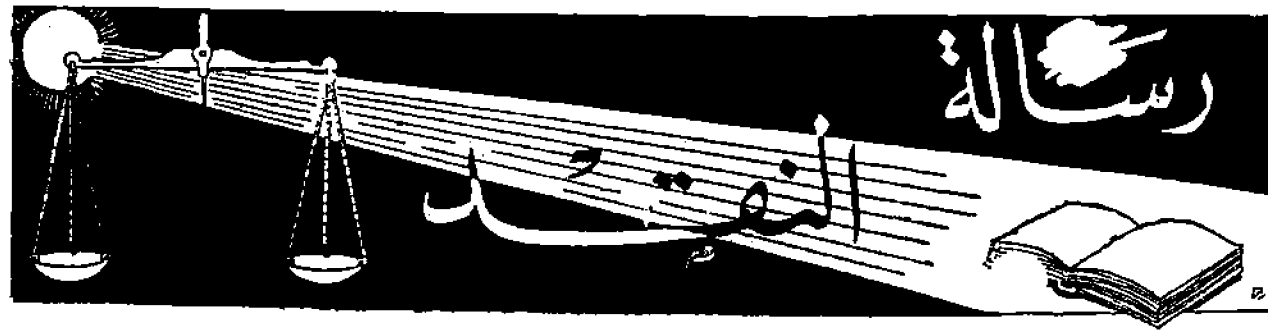
وثمنه ١٠

أطلب مؤلفات

الاستاذ الشافعي

وكتابه
الاستاذ الصالح

من مكتبة المورد ، شارع المفدى (باب البر)
ومن المكتبات العربية المشهورة



اسماعيل المفترى عليه

تأليف القاضي بيير كرتيس

وترجمة الأستاذ فؤاد صروف

للأستاذ الغنيمي

تممة

(١٢) وقال المؤلف: يصف القلق الذي كان سائدا في مصر في آخر أيام اسماعيل باشا

There is a certain amount of fermentation in the country. If this fermentation were natural, it would not be an unhealthy symptom.

فقال الأستاذ صروف في ترجمتها: في هذه الديار نوع من الاختيار الفكري. ولو كان هذا الاختيار طبيعيا لأوجد في النفس قلقا، ونحن أولا لانتحسن ترجمته كلمة fermentation في هذا الموضع باختيار لأن فيها غموضا كثيرا وكان الأفضل أن ترجم بكلمة «قلق»، وثانيا وهو الأهم أن الجزء الأخير من الجملة هو عكس المعنى الذي أراده المؤلف وهو لو كان هذا القلق طبيعيا (غير مفتعل) لعددناه من دلائل الخير. فإين هذا من قول المؤلف «لأوجد في النفس قلقا».

(١٣) ومن أمثلة عدم الدقة في اختيار الألفاظ المناسبة قول المترجم عن رفض ضباط الجيش في عهد الوزارة الأوربية: هذا التدبير كان فظا، فهل يوصف التدبير بالفظاظة؟

وقوله أيضاً عن الضباط المفصولين: جمع ألفا وخمسة ضابط في حالة الغليان، وتلك أيضاً عبارة ثقيلة على السمع

وقوله عن الناظرين الأوربيين في وزارة نوبار باشا: وأهانا الشعب برفضهما التزى بالوشاح الوطني، يريد أنهما أساءا إلى

الشعب أو جرحا عواطفه بعدم لبس الشعار القومي (الطربوش) وقوله عن اسماعيل باشا: يمكن الاعتراف بأن اسماعيل كان كبش التضحية على هيكل الأنظمة الاقتصادية، وهي عبارة لا يقبلها ذوق. مثلها في ذلك مثل قوله الآخر

(١٥) «وقفز اسماعيل من المقلاة إلى النار»، وقوله: فاسماعيل كان واقفا وظهره إلى الجدار، يريد أن اسماعيل سدت في وجوهه السبل أو أظلم يومه أو نحو ذلك

(١٤) ومن أمثلة العبارات التي يحار القارى في فهم معناها لغموضها أو ضعف أسلوبها قوله عن وزارة نوبار باشا: ونظاره يحكمون تحت سيطرة الإلغاء من ولسن وبلنير،

وقوله عن مقتل اسماعيل صديق باشا: قالذين مجهلون مصر كذبوا الخبر بحملته والذين يعرفونها صدقوه ورأوا فيه خاتمة غير لجائية ولا فاجعة لما يد مزلة و انتهى إلى مأساء، وإذا فرضنا أن بد الواردة في آخر الجملة غلطة مطبعية صوابها بدأ فإن الجملة بعد هذا التصحيح تظل غامضة

(١٥) ومن الجمل التي تغير معناها خطأ في ترجمة إحدى كلماتها قول الأستاذ صروف عن تقرير لجنة التصفية: وقد وضع نصفه الأول لورد كرومر، مع أن المؤلف يقول: وقد وضع صورته الأولى أو مسودته لورد كرومر،

The first draft was prepared by Lord Cromer
وقوله: ولقدحان الوقت حقا لحل مجلس النواب القديم، يريد مجلس النظار

(١٥) ومن أمثلة الأسلوب الضعيف قول الأستاذ صروف في وصف سفر الخديو اسماعيل باشا على ظهر المحروسة: فكل مفكر راقب المحروسة تبجر من مرفأ الاسكندرية بعد ظهر ذلك اليوم في الصيف تنهد بطبيعة الحال أمام مشهد بارز في أفق العالم للفرص الذهبية تسنح وتلغ ثم تضع،

فهل هذا وصف يمثل لخيال القارى صورة ذلك المشهد الرهيب؟ ومن الأشياء التي لا نستطيع أن نفهم لها سببا حرص

نتقل بعد هذا إلى أسماء الأعلام الواردة في الكتاب فنقول إن الأستاذ حرفها بل بدلها تبديلاً لم نر له نظيراً في كتاب من كتب التاريخ

إن أكثر ما يؤلم المصححين والمراجعين في دار الكتب المصرية عندما ينشرون كتاباً من الكتب العربية القديمة المخطوطة هو ما يجدونه في أسماء الأعلام من تحريف؛ وإذا علمت أن معظم هذا التحريف الذي يلائونه إنما ينشأ من اختلاف في وضع نقطة على حرف بدل بحرف أو حذفها أو نحو ذلك وأنه مع هذا يسبب لموظفي هذه الدار عناء ليس بعده عناء لأنهم يريدون أن يخرجوا للجمهور كتباً صحيحة مضبوطة، إذا علمت ذلك أيقنت أنه من حق القراء على الكتاب والمترجمين أن يتحروا الحقيقة فيما يكتبون وأن يتأكدوا من صحة الأسماء التي يكتبونها لهم. إن الاختصاص في التاريخ هم المحور الذي تدور حوله الحوادث وهم بمنزلة أحجار البناء فيه، فإذا كانت أسماءهم خاطئة وبعيدة كل البعد عن الصواب فسد البناء كله. والأستاذ صروف لسبب ما لم يتجر صحت الأسماء فأخطأ في كثير منها خطأ لا يضح أن يقع فيه

(١) فعلى باشا الصدر الأعظم في عهد الخديو اسماعيل وقبل اسماعيل الذي ظل يتناوب هو وفؤاد باشا مناصبي الصدرة ووزارة الخارجية قد سماه الأستاذ «علي باشا» لأنه ترجم الحروف الانجليزية دون بحث عن الحقيقة

(٢) وسرور باشا الذي تولى وزارة الخارجية في وزارة محمود نديم باشا الأولى بعد وفاة علي باشا ثم تولاهما مرة أخرى بعد ست سنين من ذلك التاريخ قد سماه الأستاذ «سيور» وليس خطأ المؤلف في هذا مما يبرر خطأ المترجم لأن واجب المترجم أن يحقق ويراجع لا أن ينقل الفاظاً وحرفاً

(٣) وهالك غلظة ثالثة من هذا النوع: من الأشخاص الذين كانوا يأخذون المال من اسماعيل باشا شخص يدعى «رشدي باشا الصغير الأقيان» وهو من إقليم يدعى أقيان أو أكبان قريب من أرض روم كتب المؤلف Rushdi Pasha of Akkian فكتبه الأستاذ رشدي باشا المكنى بأقيان، وليست أقيان كنية لرشدي باشا ولا لقباً له بل هي اسم الإقليم الذي ينتسب إليه. فإذا قلنا Al Ghoneimy of Assiut فليس معنى هذا الغنيمي المكنى بأسيوط بل الغنيمي الأسيوطي وهكذا

الأستاذ صروف حرصاً شديداً على أن يترجم كلمة Ministry دائماً أو في معظم الأحيان بكلمة مجلس نظر حتى ولو أدى ذلك إلى غموض المعنى وضعف الأسلوب فيقول مثلاً:

فقد مجلس النظار ثقة البلاد بدل أن يقول فقدت الوزارة ثقة البلاد ويقول، قرر مجلس نوبار (يريد قررت وزارة نوبار) دفع جانب من المتأخرات ويقول فتألف مجلس نظار مصرى (يريد وزارة مصرية) ويقول وعندما ألف نوبار مجلس نظاره ويقول انتدب نوبار لتأليف مجلس النظار، وكتب الخديو إلى نوبار يفوض إليه تأليف مجلس نظار وهكذا

وربما كان السبب أن الأستاذ صروف يظن أن كلمة وزارة لم تكن تستعمل في ذلك الوقت والحقيقة أنها كانت مستعملة وقد استعملها الأستاذ صروف في بعض المواضع يخيل إلينا أن الذي ترجم الجزء الأخير من الكتاب ليس هو الذي ترجم الجزء الأول منه

(١٧) قال المؤلف في معرض تبرير الرشا التي كان سمو الخديو يدفعها إلى رجال السراى

If the world does not approve of encouraging itching-palms

وهي عبارة معناها «إذا كان العالم لا يرضى عن تشجيع الرشوة» ولكن الأستاذ صروف ترجمها بهذه العبارة الغامضة التي لا يفهم لها معنى وهي «إذا كان العالم لا يرضى عن تشجيع ما يثير»

(١٨) ولينظر القارىء أيضاً إلى العبارة الآتية التي يذكر فيها المؤلف ما أنفق سمو الخديو على التعليم

True it is that much of this amonnt is absorbed by the board and clothing of pauper pupils

ومعنى board الواردة في هذه العبارة هو «طعام» التلاميذ الفقراء وهو معنى عادي لهذه الكلمة ذكر في القاموس صراحة بلفظ food ومعنى العبارة إذن هو «نعم إن كثيراً من هذا المال ينفق على طعام التلاميذ الفقراء ولباسهم» ولكن الأستاذ صروف غفل عن ذلك فترجمها «المجلس» وأفسد معنى العبارة إذ قال «نعم إن جانباً كبيراً من هذه المبالغ استنفده المجلس» ولا ندرى أى مجلس يريد. ولماذا لا يرجع الأستاذ للقاموس ليعرف معنى العبارات التي يشك فيها؟

بجمع اللغة العربية الملكى لتعريب أسماء الأعلام الأجنبية لم تظهر بعد فقد عربتها كما تعرب عدة في مصر . وإذا وجد القارىء اسم غوردون بالغين على الأكثر وبالجم على الأقل ، أو لفظ الحديد بغير الياء على الأكثر وبالياء على الأقل ، ولفظ الأمريكى بتقديم الياء على الكاف على الأكثر بتقديم الياء على الراء على الأقل ، فإذ ذلك إلا من هنات الطبع . . . الخ

هذا كل ما يعتذر عنه الأستاذ . أما تحريف الأسماء وحذف الجمل وقلب المعنى وغموض العبارة وعدم سلامة الأسلوب فلا اعتذار عنه ، بل ليقبله القراء وأنوفهم راغمة إن في استطاعتنا أن نملأ بأغلاط الكتاب صفحات بل أعداداً من مجلة الرسالة لأن ما تتبعناه من فصوله هو الستة الفصول الأولى وبعض أغلاط من فصوله التالية . لكننا آثرنا أن نترك الباقي لمن هو أقل منا عملاً أو أوسع منا وقتاً . على أننا قد نعود إلى الكتاب مرة أخرى إذا أمكنتنا الظروف

الغنى

لجنة التأليف والترجمة والنشر :

أنجزت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبع
فهارس سمط اللالى وهو شرح امالى القالى
على غرار مبتكر مفيد وهو
يتضمن أسماء الشعراء ، مع سرد القوافى مرتبة
والقوافى مع ذكر أسماء الشعراء
والتراجم الواردة ، والأمثال السائرة

وضعه

الأستاذ هبى العزيز الميمنى

أستاذ الادب بجامعة ملبورن

ويباع مع شرح الأمالى بخمسة وسبعين قرشاً
ويباع الفهرس وحده بخمسة قروش عدا أجرة البريد
والمبيع بلجنة التأليف والترجمة والنشر
٩ شارع الكرداسى بالقاهرة ، وبالمكاتب الصغيرة

(٤) ولا يقل عن هذا استبدال الأستاذ صروف « موافى » أفندى باسم سعاوى أفندى الذى ذكره المترجم وكتبه هكذا Suavi وهو أحد الفارين من وجه الاضطهاد الترى واسمه الكامل على سعاوى أفندى وقد كرر الأستاذ هذا الاسم المحرف مراراً دون أن يفكر في البحث عن حقيقته

(٥) ومثله أيضاً الشخص الذى يسميه الأستاذ صروف كبريجى باشا مرة أو مرتين وكبريجى باشا مرة أخرى وليس هو كبريجى ولا كبريجى باشا بل هو القبرصى باشا أو القبرصى باشا إذا شئت أن تذكره بصيغة النسب التركية . وقد أخطأ المؤلف في الاسم فاستبدل بحرف ى حرف ى ولكنه عاد بعد ذلك في ص ١٨٥ من الأصل الانجليزى فصحح الخطأ

ولا يختلف عن هذا أيضاً الشخص الذى يسميه الأستاذ صروف « ناجى كاتب أمين بك » وهو اسم لا وجود له ولا الشخص الآخر الذى يسميه سعيد بك ولا خليج مياز ولا سيمان بك الخ وبعد فأظننا بهذا قد أعطينا القراء فكرة عن ترجمة الأستاذ صروف لكتاب إسمايل المفترى عليه ، ولم يبق إلا أن نقول إن أسلوب الكتاب كله وبخاصة أسلوب فصوله الأخيرة معقد مفكك ملتوى - العبارات تحس وأنت تقرأ أنك تقرأ عبارات مترجمة لا رابطة تجمعها . ويستطيع القارىء أن يلبس ذلك يده في هذه الفصول

ولاندري لماذا أغفل الأستاذ صروف دليل الكتاب أو فهرس الأعلام الذى عني به المؤلف فذكر الاسم والصفحات التى ورد فيها . أغفله الأستاذ ووضع بدله دليلاً ناقصاً من عنده لم يذكر فيه الصفحات ، مع أن الدليل جزء لا غنى عنه في كل الكتب الحديثة لأنه يسهل على القارىء البحث والمراجعة

ونحب قبل أن نختم هذا النقد أن ننتظر إلى القراء وإلى الأستاذ صروف عن عبارة ذكرناها في المقال السادس على أنها غامضة المعنى تلك هى جملة « يخفى ضوؤه تحت مكيال » وهى في الحقيقة غامضة إلا لمن درس الكتاب المقدس دراسة وافية وكان على الأستاذ أن يشير إلى مصدرها

ثم نورد هذه الفقرة من خاتمة الكتاب التى كتبها الأستاذ صروف من عنده وهى :

« ولقد توخينا في الترجمة أن نجتمع بين سلامة الأسلوب العربى والدقة في متابعة الأصل الانجليزى . ولما كانت القواعد التى وضعها